

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة

كلية العلوم الإسلامية-الخروبة-

قسم: العقائد والأديان

تخصص: مقارنة الأديان

الأستاذ: عنتر قجور

مقياس موجه إلى طلبة الماستر -2-

مقارنة الأديان

ديانات الهند

السنة الجامعية: 2022-2023م

ديانات الهند

تمهيد

الإنسان الهندي روحاني بطبعه، دائم البحث عن الله تعالى. ولهذا، كثرت الديانات في الهند كثرة بالغة، لا نجدها في أي بلد آخر. منها ما ترتقي إلى التجريد المطلق، والوحدانية الصافية، ومنها ما ينحط إلى الحضيض، والوثنية العجيبة، فمثلا نجد هناك من يصلي إلى النمر الذي يفترس أنعامه، ولجسر الخط الحديدي الذي يصنعه الأوربي، ولالأوربي نفسه عند الاقتضاء.¹ ففي الهند كل شيء قابل للعبادة، المعقول وغير المعقول.

كما تتميز الديانات الهندية بالميل إلى الروحانية المتطرفة، والنظرة الاحتقارية للمادة، والنظر إليها على أنها منبع العذاب والشور. ولهذا، ظهر التصوف بقوة في الهند، وظهرت معه بعض العقائد التي تقدس الروح على حساب الجسد. ومهما يكون فالهند بلد الروح، الذي حافظ على الهند من وحش المادة² في كل مرة يصطدم الفكر الغربي بتناقضات، ويسأل إلى أين يمضي به العلم، يجد نفسه متجها نحو الهند، مهد الميثولوجيا والعلوم الروحية.²

كما تتميز أنها ديانة جمعت بين النظرية والتطبيق، فاهتم اهتماما أساسيا بوضع الأسس العلمية لعلاج مشاكل الإنسان الوجودية، وهذا يفرق بين الفكر الديني الهندي بمنحاه الفلسفي عن الفلسفة اليونانية التي اهتمت بالتجريد والتنظير والتععيد دون الاهتمام بالتطبيق العملي للنظريات الفلسفية في الحياة الإنسانية، فحققت بذلك، الانفصال الكلي بين الفلسفة والدين. أما الفكر الهندي الديني فالإطار النظري رغم أهميته إنما هو مقدمة ضرورية ومجرد قاعدة لبناء الحياة العملية.³

¹ انظر: غوستاف لوبون. حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، مصر: دار العالم العربي، ط1، 2009م، ص59.

² كلود، ب، لفسون، البوذية، ترجمة: محمد علي مقلد، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة ط1، 2008م، ص11.

³ محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان "دراسة وصفية مقارنة"، مصر: دار الثقافة العربية ط1، 2002م، ص54.

المبحث الأول
الديانة الهندوسية

تمهيد

الديانة الهندوسية تعد من أغرب الأديان التي عرفها الإنسان، إن لم تكن أغربها على الإطلاق. ورغم هذه الغرابة، فهي أكثر الأديان الهندية قدما وانتشارا وتأثيرا في الهند. والعجيب أنه لا يعرف لها مؤسس، ولا حتى بداية، وهي دائما في تطور مستمر، وبين ثناياها وثنية ساذجة، وآراء فلسفية سامية، وزهد صادق، كل هذه ممتزجة معا بحيث يصعب الإمام بالدين كله جملة واحدة.⁴

واسم الهندوسية لفظ أطلقه المسلمون على كل سكان شبه القارة الهندية الذين لا ينتمون إلى الإسلام أو المسيحية أو أي دين آخر محدود. ويحتفظ بعض مؤرخي الأديان بالتسمية "هندوسية" لإطلاقها على الديانات التي تطورت في الفترة بين القرنين التاسع الميلادي والحادي عشر الميلادي، ويطلق اسم "البراهمانية" على الديانة من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن التاسع الميلادي، وهذا، يعني أن الهندوسية اسم للدين في عصر واحد فقط من عصور الفكر الديني الهندي.⁵

⁴ حبيب سعيد، أديان العالم، مصر: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، دط، دت، ص70.

⁵ محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان، ص.59.

المطلب الأول: الكتب المقدسة في الهندوسية

الفرع الأول: الفيدا

كلمة الفيدا " كلمة سنسكريتية معناها العلم والمعرفة. وكانت في البدايات الأولى تطلق على جميع الكتب الهندوسية، ثم خص لفظ "الفيدا" بالأربعة المشهورة.

والفيدا هي أقدم الكتب الدينية عند الهنود، نقلت شفاهة، ثم جمعت ودونت. ورغم ذلك يدعي الهندوس أن الفيدا أزلي وقدم كقدم العالم. ألهمه رجل يسمونه "منو"، يقول العالم الهندوسي " بهاري لال ورما": " إن الفيدا ليس اسم كتاب، بل هو مجموعة من أفكار النساك الهندوس، ومعنى كلمة "ود" حصول العلم، ويعني بذلك، أن الفيدات جمعت فيها شتى العلوم الروحانية، وفيها الأناشيد الدينية للعبادة."⁶

1-مراحل تأليف الكتب المقدسة

ألفت الكتب المقدسة على خمسة مراحل، وهي:

المرحلة الأولى

في هذه المرحلة استكمل تأليف "الفيدات الأربعة".

المرحلة الثانية

ويطلق عليه "بعصر المتكلمين"، وفيها ألفت كتب "الأبانشاد"، وهي في الحقيقية خلاصة لفلسفة "الفيدا"، وتشتمل كتب "الأبانشاد" على مبادئ التصوف والذكر وعقيدة الفناء.

المرحلة الثالثة

وفيها دون الفقه الهندوسي، اعتمادا على الروايات المنتشرة على ألسنة الرهبان والزهاد والنساك. وبجهود الفقهاء ظهرت كتب "إسمرتي" وتعني المذكرات، ويبلغ عددها أكثر من خمسين كتابا، والمعروف منها هو "منو إسمرتي".

المرحلة الرابعة

محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، السعودية: مكتبة الرشد، ط2، 2003م،
ص20-21.⁶

بعد امتزاج سكان الهند بالآريين، اختفت آلهة الآريين في الخفاء مثل " إندر " إله الرعد، و"أغني" إله النار، و"أرونا" إله السماء، و"أوشا" إله الصبح. وبدأت في الظهور آلهة جديدة وهي " فشنوا" إله الرزق، و"سيف" إله التدمير والإبادة.

كما ألفت كتب "البران" ومعناها القصص والأساطير القديمة، وتناولت عدة مواضيع منها قصة الخلق والقيامة.

المرحلة الخامسة

في هذه المرحلة ألفت كتب في الملاحم والحروب، تتحدث هذه الكتب عن الزعماء الآريين الذين خاضوا حروباً طاحنة ضد أعدائهم، إلى أن تم النصر لهم. وهذه الكتب هي: "مهابارات" و"كيتا" و"رامايان" وقد صارت هذه الكتب من الكتب الشعبية، وكثر الاهتمام بها في المجتمع الهندي.⁷

2- أقسام الفيديا

ينقسم الفيديا إلى أربعة كتب رئيسية:

- ريج الفيديا

ومعناه الدعاء والثناء، يقال أنه هو الأصل والأشهر. ويزعم الهندوس أن ريج الفيديا من أقدم الكتب في العالم، على اختلاف بينهم في زمن تأليفه. ويجزم علماء الغرب أن تأليفه كان على مراحل ما بين 1000-1500 قبل الميلاد، وقيل 2500 ق م. وهذا العهد أقرب إلى ما يقدره علماء الهندوس والكتاب وهو لا ينافي قولهم " إنه أزلي كقدم العالم " .

والهندوس يقدسون هذا الكتاب، ويتغنون بأناشيده، ويرتلونها في الصلوات صباحاً ومساءً، ويتبركون بتلاوته في حفلات زواجهم، ويقرؤون أبياته على موتاهم عند تحريق جثثهم.⁸

-ياجور فيديا

يبلغ حجمه ثلثي حجم ريج الفيديا. وهو مكتوب نثراً. يتكلم عن قوانين القرابين

وكثيراً من العلماء الهندوس ينكرونه ولا يعدونه من الفيدات المقدسة.

⁷ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 18-20.

⁸ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص 24-25.

سام فيدا

ومعناه الأمان والراحة.يشتمل على 1810 بيتا،وجميع هذا الأبيات توجد في "ريج فيدا" ما عدا خمسة وسبعين بيتا.والهندوس يتغنون بهذه الأبيات في الصلوات والدعاء. وسبع الألحان المعروفة في الموسيقى الهندية مصدرها هذا الكتاب، يقول بعض العلماء "إن "سام فيدا" ليس بأقل من "ريج فيدا" بالنسبة للموسيقى الهندية وريقها".

آتور فيدا

يعني الرقى السحرية. والبابان التسع عشر والعشرون أخذ من "ريج فيدا". وفيه مقالات في السحر والرقى. وأدعية للحفاظ من الحيوانات المفترسة، وأدعية لحصول الراحة والأمان والريح في التجارة والقمار.⁹

3- الاتجاهات التفسيرية للفيديات

اتجه مفسرو "الفيديات" إلى ثلاثة اتجاهات مختلفة وهي:

تفسير ستارامسايان

وهو من المفسرين الذين فسروا الفيديات الأربعة على أساس الطقوس الدينية التي كانت سائدة في عصره. وهو أفضل التفاسير، يقول علماء الهندوس: "لولا ستارامسايان لما فهمنا أسرار الفيديات."¹⁰

تفسير ماكس مولار

هذه الأوربي الإنكليزي له مكانة كبيرة عند الهندوس، لأنه أول من حاول فهم الفيديات على منهج الغربيين. وقام بنشر تعليمات الفيديات في أوربا وأمريكا، حتى لقب عند الهندوس ب "موكشمولار" أي "مولار الناجي".

تفسير ديانند

وهو المصلح الهندي المعروف الذي دعا إلى إحياء الحضارة الآرية في الهند في القرن التاسع عشر، وأنكر الطقوس والرسوم التي كانت معروفة منذ أقدم العصور، والوقائع التاريخية التي جاء ذكرها في الفيديات.

⁹ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص25.

¹⁰ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص25-26

وأول كل شيء يخالف توحيد الربوبية مثل الأصنام والأوثان التي يكثر ذكرها في الفيدات، أولها إلى مظاهر قدرة الخالق.¹¹

الفرع الثاني: الأبانشاد

ومعناه الجلوس عند الشيخ لتلقي العلم. وهي أسفار تفسيرية للفيدات، وفيها علوم وتجارب الرهبان والنسك الهندوس الذي مارسوا الرهبنة، وسكنوا الجبال والغابات، وممارسة الرياضة.

وعدد الأبانشاد يبلغ ما يقارب ثمانمائة ومائة كتاب، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

أ- كيان كهاند أي باب العلم.

ب- برهما وديا كهاند: أي علم البرهما.

ج- سادهدنا كهاند أي علم اليوجا.

ولكن الكتب المعتمدة والمعروفة باسم " الأبانشاد " هي اثنا عشر كتابا.¹²

ويرى الفيلسوف "رادها كرشنا" أن تأليف "أبانشاد" يرجع عهده إلى ما قبل الميلاد بستة قرون، ويوجد فرق بين هذه الكتب، فالتى ألفت في العهد القديم تركز على التفكير في الكائنات، بينما التي ألفت في العهود المتأخرة تركز على العبودية للبرهما، والانقياد للفرائض الدينية.¹³

الفرع الثالث: البران

وهو الكتاب الذي يتكلم عن الأساطير. ويعتبر البران "الفيدا الخامس" عند جماهير الهندوس، لان فهم "الفيدا" موقوف عليه. ويدعي علماء الهندوس أنه موجود منذ القدم كوجود "الفيدا"، فالذي يريد أن يعرف حقيقة الفيدا فعليه "بالبران"، لأنه يوضح كل حكاية رمزية في "الفيدا".

ويشتمل " البران " على العناوين التالية: - علم الكائنات، وسعة الكائنات، عهود "منو" أي الرسل، أحوال ملوك سوريا بنسى وجندرا بنسى.

ويبلغ عدد "البران" أكثر من مائة وثمانمائة. ولكن المعتمد عند علماء الهندوس ثمانية عشر، وأعظمها "البهكفت البران". فالهندوس يتلون كل يوم بعد الصبح بكل أدب واحترام.¹⁴

¹¹ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص26.

¹² محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص30.

¹³ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص31-32.

الفرع الرابع: مهابهارتا

اسم الكتاب مركب من كلمتين "مها" أي العظيم، و"بهارت" أي الهند. وعنوان الكتاب يتحدث عن محتواه. وهو تاريخ الحروب الكبرى التي وقعت في الهند، وقد اشترك في تأليفه ثلاثة من المؤلفين الهندوس وهم "وياس" و"يشمبايان" و"سوتي".

والكتاب لم يصل إلينا كما ألف، بل طرا عليه عدة تغييرات بالزيادة والنقصان، والعلماء يقدرون أن يكون الكتاب مشتملا على أكثر من ألفي باب، فيه أكثر من مائة وعشرين ألف بيت.¹⁵

الفرع الخامس: الكيتا

يعد الكيتا من أهم الكتب الهندوسية قداسة واحتراما، وكان له اثر العميق في التفكير الهندي. وهو يشتمل على تعليمات ونصائح ألقاها البطل الهندوسي "كرشنا" أمام قائد الجيش "أرجن" فمن جملة هذه النصائح ذكر وظائف الجيش ألا وهي الدفاع عن الوطن، كما فيه التأملات في الذات الإلهية.

كما أن فيه تعليمات لحصول النجاة بالطرق الثلاث وهي: طريق العلم، وطريق التعبد، وطريق العمل.

والكتاب يشتمل على ثمانية عشر بابا، وفيه سبعمائة ألف بيت، وفي الحقيقية أن "الكيتا" جزء من كتاب "مهابهارت".¹⁶

ولكن هناك من المحققين طعنوا في الكتاب، يقول الدكتور "رادها كرشنا": "إن أفكار "الكيتا" مجموعة من المتناقضات، ولا نجد فيه مشعل العلم والهداية. وقد اشترك في تصنيفه مؤلفون كثيرون."¹⁷

الفرع السادس: رامايان

هذا الكتاب عبارة عن قصة تاريخية وقعت بين رجل اسمه "راما" وبين ملك سيلان اسمه "رافان" تحاربا وانتهت القصة بفوز "راما"، ولكن هذه القصة تشير إلى أمر مهم، وهو الحرب بين الخير والشر.

وإن حامت حولها شكوك في الصحة، فإنها تعد من أشهر القصص انتشارا، وأعظم تقديس لدى الشعب الهندي.¹⁸

¹⁴ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص35.

¹⁵ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص36.

¹⁶ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص38-39.

¹⁷ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص40.

الفرع السابع: الفدانت

ومعناه زبدة "الفيدا". وهو يعتبر من الكتب الفلسفية والأخلاقية لدى الهندوس، وهو اصغر حجما وأكبر تأثيرا على الفكر الفلسفي الهندي والصوفي من أي كتاب آخر من الكتب الهندوسية.

وهذا الكتاب يقال له أيضا "برهما سوترا" ويدعي علماء الهندوس أنه من تأليفات "ويدوياس" المؤلف المشهور، ولكن اتفقت كلمتهم فيما بعد على انه من تأليف "يادارايان" الذي عاش في فترة بين بوذا والمسيح عليه السلام. والكتاب يشتمل على أربعة أبواب، وستة عشر فصلا، كما أن الكتاب يعترف بثلاث حقائق أبدية وهي: أزلية الروح وقدمها. والتجسد للإله. والتستر بالحقائق.¹⁹

الفرع الثامن: اليوجا فاستشتا

يعتبر هذا الكتاب من أمهات الكتب الهندوسية، ومؤلفه مجهول كسائر الكتب المقدسة لدى الهندوس، ويرجع عه تأليفه إلى القرن السادس وما بعده قبل الميلاد. وهو العهد المعروف لدى علماء الهندوس لتأليف كتبهم. إذا انتهى الآريون من الحروب الطاحنة، وبدأوا ينظمون حياتهم الدينية والمدنية.

وهذا الكتاب يحتوي على أربعة وستين ألف بيت، وكان الراهب "فاستشتا" يعلم تلميذه البار "رام جندرا" العلوم اللاهوتية والعلوم الروحية، وعلوم المراقبة، التي توصل الإنسان إلى العالم الروحاني.

وهذا الكتاب فيه ثلاث طرق لليوجا وهي: الاعتقاد بالوحدة، وهو أن يرى أن برهما هو وحده في العالم. وثانيا: طمأنينة القلب، وهو أن يقهر نفسه حتى تكون تابعة له. ومتى صارت النفس مطمئنة نجح صاحبها من الآم والمصائب الدنيوية. وثالثا: مخالفة النفس، لأن هذه الكتاب يصور الحياة كأنها مليئة بالخطايا والذنوب.²⁰

الفرع التاسع: دهرمشاسترا

وهي مجموعة من الكتب الفقهية للديانة الهندوسية، وهي أصل "الفيدانتا" وفقهها إلا أن اغلب هذه الكتب ضاعت، ولم يبق منها إلا ستة عشر كتابا، أشهرها "منو اسمرتي" أي شريعة "منو" الذي يلحق الهندوسي إذا لم يخضع لقوانين وأحكام الشريعة.

¹⁸ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 40-41.

¹⁹ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص 45-46.

²⁰ محمد الأعظمي، المرجع نفسه ص 49-50.

أما "منو" فهناك تضارب في حقيقته، فأحياناً يقول علماء الهندوس انه أول إنسان وجد على وجه الأرض بعد الطوفان الذي اغرق جميع المخلوقات، وأحياناً يقولون هو الراهب الأكبر الذي يقبل القرابين، ويحددون زمنه بين 1000 و600 ق م.

والكتاب يشتمل على اثني عشر باباً، وفيه 2694 بيتاً.²¹

²¹ محمد الأعظمي، المصدر السابق. ص52-53.

المطلب الثاني: عقائد الديانة الهندوسية

من عجائب الديانة الهندوسية والتي تختلف بها عن كل الأديان، انه ليس لها عقائد محددة، فهي تشبه البركة التي تضم كل العقائد والأديان، مهما كانت شديدة التناقض والتضاد. ولكن بالرغم من ذلك، فيمكن اعتبار بعد العقائد هي كالإجماع بين الهندوس، لا يمكن لأحد أن ينكرها أو يتعدى عليها.

الفرع الاول: التعدد والوحدانية في الهندوسية

يوجد في التفكير الهندوسي فيما يختص بالإله نزعتان مختلفتان تمام الاختلاف، وهما نزعة الوحدانية، ونزعة التعدد، وان كانت نزعة التعدد أقوى وأكثر انتشارا.

وقد بلغ التعدد عند الهنود مبلغا كبيرا، فقد كان عندهم لكل قوة طبيعة تنفعهم أو تضرهم إله يعبدونه، ويستنصرون به في الشدائد، وكانوا يدعون تلك الآلهة لتبارك لهم في ذريتهم، وأمواهم من المواشي والغلات والثمار وتنصرهم على أعدائهم.

ولم يصل الهندوس إلى عبادة هذه الظاهرة دفعة واحدة، وإنما مروا بمراحل انتهت بهم إلى عبادتها، ويصور الأستاذ محمد عبد السلام مراحل هذا الانتقال بقوله: "وكانت المظاهر الكونية الجميلة، والمناظر العظيمة باعثة لإيقاظ الشعور الديني فيهم، فأعجبوا بهذه المظاهر واستمتعوا بها، وشكروا لها وامتنوا، واثنوا عليها، ثم ظنوا أن لهذه المظاهر أرواحا ونفوسا كما أن لهم أرواحا ونفوسا، واعتبرا هذه الأرواح قوى كامنة وراء المظاهر، ويدها أن تمنحهم هذه المظاهر التي أعجبهم أو تحجبها عنهم، فتقربوا إليها بالعبادة والقربان واعتبروها آلهة، ودعوها عند الحاجات."²²

وعلى هذا كثرت الآلهة عندهم كثرة زائدة، ولكنهم في وسط هذا التعدد كانوا يميلون أحيانا للتوحيد أو إلى اتجاه قريب منه، فقد كانوا إذا دعوا إلهما من آلهتهم أو اثنوا عليه، أو تقربوا إليه بقربان، أقبلوا عليه بكل عواطفهم وجل ميولهم حتى يغيب عن أعينهم سائر الآلهة والأرباب.

الفرع الثاني: عقيدة التثليث

أقر البراهمة منذ زمن مبكر يعود إلى أيام "غوبتا" بوجود كينونات ثلاث: براهما الخالق، وشيفا المدمر، وفيشنو الحافظ - باعتبارهما تمثل الحقائق الكونية. ومع مرور الوقت، راحت هذه الآلهة الثلاثة العظيمة تستوعب فيما بينها وبالتدرج وظائف عشرات بل ومئات الآلهة المحلية.

²² أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى "الهندوسية، الجينية، البوذية"، مصر: مكتبة النهضة المصرية ط1، 1984م، ص45.

وحوالي القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود إلى إبراز هذه النتيجة التي تقرب من التوحيد أو تصل إليه، فقد جمعوا الآلة في إله واحد، وقالوا إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه، ثم يهلكه ويرده إليه، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء. وهكذا فتح الكهنة الهنود الباب للمسيحيين فيما يسمى: تثليث في وحدة، ووحدة، ووحدة في تثليث.²³

والتالوث الهندي العظيم، يتكون من:

1- براهما

تعد عبادة "البراهما" الخالق الأقل انتشارا ولا ندد إلا بعض المعابد المخصصة له الآن. ومن الممكن مقارنة مع "الإله العالي" للشعوب البدائية، الذي لم يعد له من دور فعال على الأرض بعد أن أكمل عملية الخلق وانتهى منها. إلا انه يلقي مع ذلك احتراما عميقا، وتصوره الأعمال الفنية في هيئة شخص ملكي ذي رؤوس أربعة يقرأ "الفيدا" بامعان، ويظهر ممتطيا أوزة برية بيضاء، في رمزية إلى ابتعاده وعزوفه عن مخالطة الآخرين.

ومع أن برهما أقوى الآلهة الثلاثة، فإنه ليس له عباد خصوصيون، ولا تكاد تجد في الهند معبدا خاصا به، وسبب ذلك، هو أن الدين لدى الهندوسي تصويري مادي، فبينما تعمر رموز سيفا وفيشنوم المعابد، لم يمثل برهما تمثيلا ظاهرا، بل يظل الروح الكبرى التي تلمس فتهب الحياة لجميع الخلق فيطيع الهندوسي أن يفنى فيها.²⁴

2- شيفا

يعتبر شيفا من آلهة آسيا العظام، وقد أطلق عليه أتباعه لقب "الماها ديفا" أي "الإله العظيم" وهو جدير بهذا الاسم، وشخصيته هي الأكثر تعقيدا، ولها بعض الجوانب المدهشة، وكما هو حال الإله رودرا المخيف من الزمن الفيدي، فقد حافظ شيفا على دور الإله المدمر، وعلى حد قول "الياجور فيدا" فإنه "المتوعد، والسفاح، والمكدر، المتسبب بالألم والكرب".²⁵

وشيفا هو راعي القديسين والنسك وحام لهم، وكثيرا ما يجري تمثيله بهيئة تأمل عميق جسده العاري ملطخ بالرماد. وشعره مضمفور في زي ناسك.

²³ أحمد شلي، المصدر السابق، ص46.

²⁴ غوستاف لوبون، حضارات الهند، ص602.

فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان "الهندوسية، البوذية، الكونفوشيوسية، الشنتو"، ترجمة: سيف الدين القصير و
²⁵ آخرون، سوريا: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط4، 119/17.

شيفا يمثل طاقة الحياة، بكل جوانبها هو أمر مشهود له بطبيعة أقرانه وأصحابه المتنوعين، وزوجته ديفي " هي مجموعة شخوص في واحدة، وتحمل أسماء مختلفة في مناطق الهند المتنوعة. من هذه الأسماء: ساكنة الجبال،النور،الممتنعة، المتوحشة، السوداء...ومع ذلك فهي عدو لذود للشياطين، إنها لطيفة تجاه مختاربخها،إلا أنها اعتادت أن تقتات على البشر والحيوانات، وتضع "كالي" السوداء عقدا من الجماجم حول رقبته الداكنة، وتستخدم أذرعها القوية الأربعة كما كمخاييط لتدمير ضحاياها قبل أن تملأ فمها بلحمهم.لكنها كريمة ولطيفة إلى ما لا نهاية مع الذين تحبهم ويادلونها الحب.

ويرتبط " بشيفا" أيضا "غانبشا"الإله الذي له رأس فيل، و"ناندي" الثور الأبيض.

"غانيشا" هو ابن شيفا من "بارفاتي" قرينته الجبيلية، ويرمز "غانيشا" الذي نجده في كل مكان فيه معبد "شيفا" إلى مكر رأس الفيل وقدرته الهائلة على إزالة العقبات من طريقه.أما "ناندي" الذي تنتشر تماثيله وصوره البيضاء، في معابد "شيفا".²⁶

3-فشنو هو الإله الحافظ. وكان يعتبر من أبرز آلهة الدرافيدين، اتسم باللون الأسود.²⁷

الفرع الثالث: عقيدة الأفنار

ومعنى كلمة أفنار في اللغة السنسكريتية "النزول". وفي الاصطلاح هو "نزول الرب إلى الأرض لإصلاح الناس بصورة البشر كما جاء في كتاب "كيتا"، حيث يقول كرشنا: "من أجل إنقاذ الأبرار، وإفناء الأشرار،ومن أجل إعادة إقامة شرعة الدين أهبط بنفسي دورة بعد أخرى".²⁸

ويقول أيضا: "حيثما يوجد انحراف ف الممارسات الدينية ويزداد الإلحاد أهبط بنفسي".²⁹

ونزول الأفنار له أربعة مقاصد من النزول وهي:

أ- إظهار النساك على الفجار.

ب- الفوز في الدنيا بعد إهلاك الدجالين.

ج- رفع ثقل الأرض من المعاصي.

²⁶ فراس السواح، المصدر السابق،4/119-121.

²⁷ محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها،مصر: دار الشعب،دط،1970م،ص83.

²⁸ محمد الأعظمي. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص107

²⁹ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص107.

د- تقديم أسوة حسنة للسائرين.

وهو ينقسم إلى:

1- بورن أفتار

ويقصد به النزول الكلي للإله. ومن شروطه: يجب أن تكون قوة المتلقي تساوي قوة برهما أي غير متناهية، مثل: "أفتار راما" و "أفتار كرشنا"، لأن أصلهما من الإله، نزلا بصورة بشرية لإعدام وتدمير الطغاة والعصاة.

وقصة أفتار راما تتخلص في أنه كان قبل آلاف السنين ملك ظالم اسمه "كسنا" يحكم منطقة "مترا" (وهي إحدى المدن المقدسة عند الهندوس). وكانت له أخت اسمها "ديوكي" فتزوجها رجل يقال له: "فاسو ديفا" وقد أخبر المنجمون "كنسا" بان ابن أخته الثامن سيقتله، ويحتل مكانه، ففزع "كنسا" وسجن أخته وزوجها.

وقد ولدت الأخت سبعة أولاد في السجن، فقتلهم "كنسا" جميعا إلا السابع منهم نجأ بأعجوبة. وقد أخبر المنجمون الأب أن ولده الثامن سيخلصه من "كنسا" الظالم. ولذلك، لما ولد الولد الثامن "كرشنا"، فكر الولد في تهريبه من السجن، وهو ما كان بالفعل.

وتنقل الأساطير الهندية أنه في تلك الليلة نام الحارس، وأبقي الباب مفتوحا، مما سهل من عملية تهريب "كرشنا" على يد والده، الذي ذهب به إلى ما وراء نهر "جمنا" في مدينة "كوكل"، حيث يقيم هناك صديق له. ومن حسن الأقدار أن ذلك الصديق ولدت له بنت في الليلة التي ولد فيها "كرشنا"، فأستبدل الابن بالبنت، ورجع إلى السجن.

وفي الصباح الباكر أخبر "كنسا" أن أخته ولدت بنتا وليس ولدا كما أخبره المنجمون من قبل، ولشدة غضبه أخذ البنت المولودة، ورمى بها على الأرض، فخرج منها صوت يقول: "إن قاتلك حي لا يموت". ولما كبر كرشنا قتل "كنسا" وخلص أهل الأرض من ظلمه.³⁰

2- أنشان أفتار

أي الذي يرسل لغرض خاص، وهو دون الأول في القوة والمهمة، مثل: "أفتار نرسنغ"، الذي أرسل لقتل "هارن كشب" فقط لساعات معدودة.³¹

³⁰ أنظر: محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 108-109.

3- كلا أفتار

وهو أدنى من "أنشان أفتار" مثل: "أفتار منو كشيپ".³²

4- أدهيا كاري أفتار

هو الذي أعطى قوة مثل قوة برهما، مدة أداء المهمة، ولكن تنزل عنه هذه القوة، بعد انتهاء المهمة المكلف بها،

مثل "ويدوياس" حينما ألف "الفيدات" و"البران"، الذي كان مثل الإله في قوته، أثناء التأليف، ولكنه عاد إلى طبيعته البشرية بعد أداء مهمته.³³

وقد بلغ عدد "الأفتارات" عند الهنود أربعة وعشرين، والمشهور منها ما ذكرناه سابقاً.³⁴

وفي عصرنا المعاصر، وفي ظل الرفض المطلق لعقيدة التجسيد المهينة للذات الإلهية، أول بعض علماء الهندوسية التجسيد أو الأفتار أنه بمعنى النبوة والرسالة، بعدما عرفوا استحالة تجسد الإله.³⁵

ولكن الحق يقال، أن التجسيد عقيدة راسخة في الفكر الديني الهندي، وحقيقة تنطج بها الكتب الهندوسية المقدسة.

الفرع الرابع: الكارما

الكارما من العقائد الأساسية في الديانة الهندوسية، ومفهومها هي "أن الشهوة أقوى عامل في حياتنا، ولكن شهواتنا تؤثر على الآخرين، فنحن في أعمالنا التي تفرضها الشهوات نحسن إلى الآخرين أو نسيء إليهم. فلا بد أن ينطبق علينا "قانون الجزاء" المسيطر على حياة سائر الأحياء الحرة في الكون. وقانون الجزاء يسمى في اللغة السنسكريتية (karma) وليس لأحد أن يتملص منه. وقد جاء في كتاب "يوجا واسستها" ما يلي: "ليس في الكون مكان، ولا الجبال، ولا السماوات، ولا البحار، ولا الجنات، يفر إليه المرء من جزاء أعماله حسنة كانت أو سيئة."³⁶

³¹ انظر: محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص109.

³² انظر: محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص111.

انظر: نفس المكان.

³⁴ انظر: نفس المكان.

انظر: محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص111-112.

³⁶ أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى "الهندوسية"، ص60.

ولكن الهندوس من واقع حياتهم أن الجزاء قد لا يقع، فالظالم قد ينتهي ولا يقتص منه، والمحسن قد ينتهي دون أن يحسن إليه، لذلك لجأوا إلى القول بعقيدة "تناسخ الأرواح".

والكارما لها ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى برار ميا كارما

ومعناها أنها تشير الحياة الحاضرة، وتحتّم انه لا محالة أن يجازى الإنسان على أعماله.

الحالة الثانية سانجيت كارما

أن نتائج الكارما التي كانت من قبل، يمكن دفعها بالعلم.

الحالة الثالث كيرامان كارما

أنها تؤثر في الحال، وتظهر نتائجه في المستقبل.³⁷

الفرع الخامس: عقيدة تناسخ الأرواح "اكمن" أو "نرجنم"

ويطلق عليها بعض الباحثين ب"تكرار المولد". ومفهوم التناسخ في الهندوسية هي أن الروح التي لم تصل بعد إلى الكمال، يعطى لها فرصة أخرى، لكي تتطهر، وتصل إلى الكمال مرة أخرى. عبر التناسخ الذي يكون إما تناسخا في الأرواح الإنسانية أو تناسخا في الأرواح الحيوانية.

جاء في (البران): "أن الإنسان إذا أخطأ هدف حياته وهو العبودية لله، فإن روحه تختار أربعة وسبعين مائة ألف جسم من أجسام المواشي والطيور والحشرات ثم تنتقل إلى جسم الإنسان."³⁸

والهندوسية، تبرهن على هذه العقيدة العجيبة، بالحجج التالية:

أ- أن الروح إذا خرجت من الجسم تبقى لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد، ولذلك لا بد من دورة ثانية.

ب- أن النفس إذا خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين، لا بد من أدائها، فلا مناص إذا من أن تستوفي شهواتها في حياة أخرى، وتتذوق الروح ثمرة أعمالها التي أقامت بها في حياتها السابقة.³⁹

³⁷ محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص124.

³⁸ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص113.

الفرع السادس: عقيدة النرفانا

وتعني النجاة، وهي المرحلة النهائية من دوران الروح، أين تتحد مع الله تعالى، بعد أن وصلت إلى درجة الطهر الكامل، والكمال التام، ولم تعد تحتاج إلى تناسخ جديد، فحينئذ يحصل لها " النرفانا".

يقول كرشنا" من يعرف طبيعة ظهوري، وأعمالي التجاوزية لا يولد ثانية عند تركه الجسد في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي."⁴⁰

يقول "ديانند": "إن الروح بعد أن حصلت على النرفانا، وبقيت تنعم في الذات العليا تعود ثانية إلى التجسد (الكارما)، وتعيد عملها من جديد، لأنها أزلية لا تفتي."⁴¹

فالروح هي الأساس، والجسد ومن هذه العقيدة الحلولية، التي تعتبر الروح هي الأساس، ظهرت فكرة ازدياء الجسد، وضرورة التخلص منه عن طريق الحرق، والذي أصبح لا معنى له بعد خروج الروح منه.

الفرع السابع: الأنظمة الستة المقبولة لفلسفة الهندوسية

الكلمة الهندوسية المستخدمة بمعنى "نظرة في طبيعة الأشياء" هي "دارشانانا" وهي كلمة ربما يجب ألا تترجم بمعنى "نظام للفلسفة" لان "الدارشانانا" لا تهدف إلى الوصول، كما تفعل الأنظمة الغربية، إلى وجهة نظر للأشياء موضوعية تحديدا، وبعيدة عن الهوى، ومعرفية بحتة، بل هي تسعى بالأحرى عن طريق البحث الإلهامي إلى طرح غلالة الجهل الذي يمنع التحرر من "المايا" عبر "رؤية الحقيقية" يقول ميرسيا إلياد: "كانت المعرفة الميتافيزيقية في الهند دائما ذات غرض خلاصي، أي أنها تسعى إلى النجاة عن طريق تحرير النفس أو الروح، لكن إذا ما تذكرنا أن كلمة ف"فلسفة" تعني في السياق الحالي ما كانت تعنيه في الأصل،"حب الكلمة" وليس بالأحرى "الموضوعية العلمية" فإن بالإمكان استخدامها بأمان."⁴²

اتخذت الأنظمة المقبولة للفلسفة الهندوسية شكلها خلال الألفية الممتدة من 500 ق م إلى 500 م وجرى خلال ألفية أخرى من السنين تهذيبها في صورتها النهائية والثابتة، يفوق عدد هذه الأنظمة الستة بكثير، لكن المهندوس اختاروا هذه الستة باعتبارها الأكثر أهمية، لأنها تغطي أهم الآراء الفلسفية في الهندوسية.

³⁹ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص113..

⁴⁰ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص125.

⁴¹ نفس المكان.

⁴² فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، 104/4.

تعتمد هذت الأنظمة الفرضية الرئيسية التي تميز الأرثوذكسية الهندوسية، وهي أن أسفار "الفيدا" هي الكلام الموحى والمرجع الخير للإيمان الديني، ويلحق بأسفار "الفيدا" الأربعة عادة الشروحات المبكرة والتفسيرات .

وهي الأنظمة الستة هي:

-نظام الساخيا samkhya

تقف في تعارض صارخ مع الإيمان بوحدة الوجود المعبر عنه في كتب الأوبانيشاد، ويعتبرها التقليد الهندي أقدم "الدارشانات" على الإطلاق، قد تكون في صورتها الأولية التي كانت عبارة عن ثنوية غير منهجية. ربما كانت أقدم من أبكر "الأوبانيشادات" مصدر عاما للكثير مما هو في الجينية والبوذية... وذكر ان مؤسسها الأسطوري أو شبه الأسطوري شخصا يدعى كابيلا kapila

(الفلسفة "الساخية" هي فلسفة إحادية بقوة وثنوية، تعتقد بوجود فئتين خالدين من الكينونة وهي المادة والروح، وكلتاهما ليستا "ما" أي وهما، إحداهما حقيقتان بشكل متساو، الأولى أي العالم الطبيعي، تشكلت بواسطة ثلاثة أنواع من النشاط تدعى "غوناس" بمعنى وسائط وهي الأول هو مضيء وحكيم وسعيد يعرف باسم (ساتفا) أي الطهارة المقترن بعمق النظر. الثاني نشيط ودافع مليء بالطاقة ويسمى (راجاس) أي طاقة والثالث مستكين وخامل ومزاجي ويدعى ب(تاماس) أي الظلمة أو الخمول والغموض. وتتحدد خصائص كل ما هو في العالم الطبيعي بالطريقة التي تجتمع وتتألف فيها هذه الأنواع.

أما بالنسبة لعالم الأنفس فإنه لا يتشكل من نفس كلية وحيدة مثل "براهمان-أتمان"، وإنما من عدد لا يحصى من الأنفس الفردية، كل نفس منها مستقلة عن الأخرى وخالدة. وتمتلك هذه الأنفس أو الأرواح خاصية الوعي، وهي حرة وبدون صفات. أما لماذا عليها الارتباط كما هي بجسد وعقل في حياة بعد حياة، فهذا لغز لا حل له. وبما أنها مرتبطة بشكل ما "بالكارما"، فإنها تحتاج إلى أن تتحرر من ارتباطاتها بقطبها المضاد (المادة الحيوية) لكنها لا تستطيع تحرير نفسها، فلتحرير يأتي من الجانب الطبيعي، وليس من الجانب الروحاني، وما يجب أن يحصل في مجال الطبيعة هو أن العقل الأعلى (بوذي) الذي يدرك في لحظات الكشف الخصائص الحقة المميزة للنفس، عليه أن يحرر نفسه من المعاناة التي يفرضها قصور البصيرة (أفيديا أو الجهل) إنه يستطيع فعل ذلك بالتخلي عن المطابقة الخاطئة بين النفس والعمليات العقلية والجسمانية، وهذه المطابقة ليست فقط على خطأ تام وتشكل مصدرا للمعاناة ولكنها أيضا تقف في وجه التحرر النهائي للنفس. فإذا ما قام بتدمير هذا الوهم (المايا الحقيقية) وتدمير نفسه في غمار ذلك (يتفكك)

فإنه سيمكن النفس من تحقيق حريتها بالانتقال النهائي إلى حالة من الوجود الخالد، وغير ارضي في صفاء الروح ونقاؤها.⁴³

الفرع الثامن: نظام اليوغا

وعرفت على أنها "منهج أو طريقة تمرين، تهدف لسوق الإنسان نحو التكامل أو الدمج والإتحاد".⁴⁴ كان نظام اليوغا للضبط العقلي قد تطور تطوراً كبيراً منذ ذكره لأول مرة في كتابات "الأوبانيشاد"، وحقق موقع مهماً في ممارسة طريقة العلم، كما وتحول على تقنية عالية التهذيب في أيدي "باتانجالي" بداية من القرن الثاني الميلادي. وهو اليوغي الذي استقى معظم أفكاره من نظام "الساخيا"، ولو أنه اختلف عنه من جهة قبوله بإلحاد معدل كجزء من وجهة نظره العالمية (الاعتماد على اشفار الروح الصافية التي تقدم المساعدة إلى اليوغيين).

إن أعظم جاذبية اليوغا تكمن في إجراءاتها الفيزيولوجية والنفسية الهادفة إلى مساعدة العقل في سعيه نحو التركيز، وهي تتألف عموماً من وضعيات خاصة، وطرائف للتنفس، وتكرار إيقاعي لصيغ فكرية ملائمة، يتألف الإجراء النموذجي "للراجا يوغا" من خطوات ثمان هي:

- ممارسة وأداء اليمين بقتل الرغبات والامتناع عن قتل الأشياء الحية.

- الالتزام بضبط النفس وحب النظافة والهدوء والدراسة وقهر النفس.

- الجلوس في الوضعية المناسبة مثل وضع القدم اليمنى على الفخذ الأيسر، والقدم اليسرى على الفخذ الأيمن، وتصابل اليدين، والعينان مركبتان على أرنبة الأنف.

- تنظيم التنفس، حيث الهدف هو إرجاع كامل الكينونة الحية إلى عملية أو اثنتين بسيطتين، ووضع كل العضلات الإرادية وغير الإرادية، والتيارات العصبية تحت السيطرة، وينصح الطامح بالجلوس باستقامة بجعل الرأس والعنق والظهر في صورة خط مستقيم، وأن يتنفس بطريقة إيقاعية، بينما يردد سرا الكلمة المقدسة (أوم).

- انسحاب الحواس عن كل الأشياء التي نحس بها، بشكل يشبه كيرا انكماش السلحفاة داخل قفصها الصدفي، وذلك بإخفاء رأسها وأعضائها في الداخل، وتقوم هذه الخطوة بإغلاق العالم الخارجي.

⁴³ فراس السواح، المصدر السابق، 107-105/4.

هوستن سميث، أديان العالم "الهندوسية، البوذية، الكونفوشيوسية، الطاوية"، ترجمة: سعد رستم، سوريا: دار الجسور

⁴⁴ الثقافية، ص55

- التركيز التي يتم فيها بقاء الذهن مشدودا إلى تأمل فكرة أو غرض واحد حتى يصبح فارغا من كل شيء سواه.

-السامادي وهي غيبوبة روحية يذوب فيها العقل، الذي أصبح الآن مفرغا من كل محتوى ولا يعود واعيا لشيء ولا لذات، في المطلق ويصبح واحدا مع الواحد.

الخاصية المركزية للممارسة اليوغية، سواء في هذه الصورة أو في صورها الأخرى، هي استخدام العقل لكبت حركاته الواعية الخاصة به، وكون الجسد بكامله قد تدرب وانضبط بحيث يساعد في التوقف التدريجي للوعي واستحضار حالة من النشوة الصافية الخالية من التفكير ومن الإحساس، والنتيجة هي الشعور بتحرير كامل للذات الحقيقية من العالم الخارجي والسببية الطبيعية.

هناك نوع لاحق أكثر باطنية من أنواع اليوغا يجري النصح به من قبل أساتذة اليوغا يسمى "هاثا يوغا" أو يوغا القوة،إنما تفهم البدن على انه مرتبط الأجزاء داخليا بواسطة العديد من "القنوات" ثلاثة منها هي أكثرها أهمية، اثنان منها يجريان على طول جانبي العمود الفقري، ويربطان الحقيوين بالحنجرة، ويجري الثالث المعروف ب"سوسمنا" داخل العمود الفقري من "الكاكرا" أو مركز القوة خلف الأعضاء التناسلية، صعودا عبر مراكز القوة في قمة الرأس. إن هدف "هاثا يوغا" هو إثارة "القوة الأفعوانية" للكونداليني ودفعها للنهوض بقوة عظيمة عبر "الكاكرات" الأخرى أو "عجلات القوة". وإحداث استنارة الوعي في الراس.

هناك مزاعم غريبة بخصوص القوى الخفية المصاحبة لإتقان اليوغا، فهم يقولون بان اليوغي يصل إلى مرحلة يستطيع معها الارتفاع في الهواء، وتخطي حدود المكان والزمان، وان يكون في عدة أماكن أو أزمنة في وقت واحد، أو يستطيع الحصول على قوى وصفات أي شيء يرغب في التركيز عليه. لكن الهدف الأساسي لليوغا ليس أيا من هذه الأشياء بالطبع،إنه بالأحرى اختيار الحرية الكاملة المطلقة للذات وخلاصها من الروابط الأرضية.⁴⁵

الفرع التاسع: عقيدة الطبقات أو نظام الطبقات

تعتبر عقيدة نظام الطبقات علامة مميزة في التاريخ الهندي، إذ لا يمكن تصور الهند بلا نظام الطبقات.

يقول المؤرخ ويلز: " كان المجتمع الهندي بعد الغزو الآري مقسما إلى طبقات لا يؤكل بعضها بعضا، ولا تتزاوج، ولا تختلط اختلاطا حرا، ثم استمر هذا التقسيم الطبقي أمد التاريخ كله. وهذا أمر من شأنه أن

⁴⁵ فراس السواح، المصدر السابق، 110-107/4.

يجعل سكان الهند شيئا يخالف المجتمعات الأوروبية والمغولية البسيطة السعلة التزاوج، فهو في الحقيقية مجتمع مجتمعات.⁴⁶

يقول حبيب سعيد: "والحق أن نظام الطبقات في بلاد الهند على ما هو عليه من صرامة وجمود أبعد الأثر في حياة الشعب الهندي، فهو يقضي بإقصاء خمسين مليوناً من المنبوذين عن الحياة العامة إقصاء تاماً. وهو ظل قائم يتبع المرء من يوم مولده إلى يوم حتفه، فهو قد يفكر ما شاء له التفكير، ولكنه يوم يعتدي على قواعد نظام الطبقات، فقد أمسى لساعته طريداً محتقراً، لا يقيم لوجوده وزن بين أسرته وأصدقائه، واللذين عاش فيما بينهم أمسى كلباً منبوذاً شارداً."⁴⁷

يقول "نخرو": "الهند أقل الأمم تسامحاً في الأعراف والتقاليد، مع كونها أكثر الأمم تسامحاً في عالم الأفكار والعقائد."⁴⁸.

والطبقات تنقسم إلى أربعة أقسام حسب العقيدة الهندوسية، وهي بدورها تنفر إلى مئات الطبقات الفرعية، حيث يوجد منها الآن ثلاثة آلاف طبقة،⁴⁹ وهي:

باقتراب نهاية القرن السابع قبل الميلاد، تمخض الاحتلال الآري لوادى "الغنج" عن تنظيم عدد من الولايات أو الدول المتميزة، حكم بعضها بنظام ملكي من قبل "راجاوات" وراثيين، بينما بقي عدد آخر في صورة تجمعات متفككة على شاكلة النظام الجمهوري حيث تخضع القبائل لحكم مجلس مركزي من الزعماء، شغلا لآريون الطبقة العليا من نظام اجتماعي كان لا يزال متقلبا ومائعا. تلاهم في مرتبة أدنى ذوو البشرة السوداء من غير الآريين الذين كانوا يمرون في مرحلة الذوبان. أما الآن، وعلى الرغم من فقدان التفريق الحاد والواضح بين الطبقات، فإننا نجد أن أربع مجموعات اجتماعية متميزة أخذت بالظهور بشكل مؤكد: الكشاتريا، والبراهمة أو الكهنة، والفايسياس أو عامة الشعب الآري. وأخيرا الشودرا أو العبيد السود من غير الآريين. كانت الطبقات الثلاث الأولى قد بدأت تنأى بنفسها شيئا فشيئا عن الطبقة الأخيرة، وبدأت مسالة اللون بالظهور الآن. ولم يعد الزواج الذي يتخطى عقبة اللون أمراً ممنوعاً لوحده فحسب، ولكن حتى العلاقات الاجتماعية الحميمة كالشرب من كأس واحدة أو الجلوس إلى مائدة طعام واحدة أصبحت هي الأخرى ممنوعة على أساس تكرر ظهور المسائل المتعلقة بنقاء الدم لعلاقتها بهذه الارتباطات.

⁴⁶ احمد شلي، أديان الهند الكبرى، ص 53-54.

⁴⁷ أديان العالم، ص 73.

⁴⁸ هوستن سميث، أديان العالم، ص 99.

⁴⁹ هوستن سميث، المرجع نفسه، ص 97.

كما وجد صراع أيضا على المكانة الاجتماعية اللائقة بين النبلاء الحاكمين من جهة والبراهمة من جهة أخرى، حيث راحت تطل طبقة تزعم السلطة العليا والنهائية لنفسها.⁵⁰

1- طبقة البراهمة

وهي سيدة الطبقات، والمتحكمة في المجتمع الهندي منذ آلاف السنين، والسبب في كل هذا التقديس والتبجيل، أنها خلقت من فم الإله، جاء في "ريج الفيدا": "خلق الله طائفة البراهمة من فمه، والكشترى من عضده، والويش من فخذه، والشودرا من رجله."⁵¹

القداسة باعتبارها عنصرا كامنا في الشخصية الإنسانية قد فتنت الهند في الماضي ولا تزال. ومع انه قد يتم الاعتراف برجال من طبقات أخرى على أنهم مقدسون (مثل غاندي واللقب الممنوح له). إلا أن البراهمة تمتعوا بعصمة تفوقوا بها على كل الآخرين. "وقد جعلت تشريعات" مانو" هذا الأمر واضحا منذ زمن بعيد. فقد وضعت البرهمي في موضوع "سيد هذه الخليقة" التي تعد ولادته "تقمصا أبدأ للتشريع المقدس" سواء أكان كاهنا أم معلما أم في أي مهنة أخرى، فإن البرهمي هو "الأسمى على الأرض" وكل ما هو موجود في هذه الدنيا هو ملكه، فهو يستحق ذلك على أساس امتياز أصله. "البرهمي هو ألوهة عظيمة سواء أكان متعلما أم جاهلا، تماما كما أن النار ألوهة عظيمة، النار الساطعة لا تلوث حتى في أماكن الدفن، وعندما تقدم مع قرابين الزبدة وقت التضحية، فغن قوتها تزداد عظمة ومتعة. وهكذا، ومع ان البراهمة يوظفون أنفسهم في كل أشكال المهن الوضيعة، إلا انه من الواجب تكريمهم بشتى أنواع التكريم، لان كل واحد منهم هو كينونة ألوهية فائقة العظمة."⁵²

أما اليوم فليس بالإمكان المحافظة على هذه الصفة الغامضة لشخصه إلا بصعوبة بالغة، ومع ذلك فهي لا تزال محفوظة، وبغض النظر عن الأسلوب الذي يتبعه في حياته، فإن قتله أو إساءة معاملته هو دائماً خطيئة فاحشة. ومع ذلك، فمن الخطأ الاستنتاج بان كل برهمي هو شخص معظم، فمن ناحية نظرية هو فعلا سيد عظيم بين الرجال، مهما كانت مهنته، لكن من الممكن اعتبار شخص الملك شيئا مقدسا والنظر إليه في الوقت نفسه باحتقار لروحه أو الاستهزاء بأفعاله. واليوم، عندما نجد البراهمة منغمسين في كل أشكال المهن، ربما كان من الطبيعي أن يتعرضوا للاستهزاء في بعض الحالات، كما كان الحال مع الرهبان في أوربا العصور الوسطى، بسبب من بعض الخصال الدنيئة، لكن حتى أولئك الذين يضحكون من برهمي قد يتمنون لو كانوا هم أنفسهم مكانه، ويأملون أن يصبحوا بعد الموت براهمة في الحياة الآخرة.

⁵⁰ فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، ص34-35.

⁵¹ محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص58.

⁵² فراس السواح، المرجع السابق، ص134-135.

من بين البراهمة الأكثر تكراراً في الهند أولئك الذين هم معلمون (مرشدون روحيون) ووظيفتهم هي تعليم الهندوس مبادئ ديانتهم المتمركزة بخاصة على حياة البيت والطقوس المنزلة. وغالباً ما يحتفظ بمعلم منهم يقيم بشكل دائم في البيوت في صورة مؤدب ورجل دين، لكنه في معظم الأوقات يخدم عدة أسر في وقت واحد متنقلاً من منزل إلى آخر. وهو في العادة من أصحاب العقول الرفيعة، وشخص أمين وقوة دافعة باتجاه الخير. وتلخص مهنته بتدريب الأولاد في علوم الدين، وواجبات طبقتهم، وتهيئتهم للانتقال إلى مرحلة الرجولة.

قد يوجد بين المعلمين من ليسوا براهمة، وهؤلاء يكونون عادة مرجعيات دينية من خلال تحصيلهم الشخصي.⁵³

وأهم واجبات طبقة البراهمة:

هو تعلم الفيدا وتعليمها وشرحها، لأنهم من نسل الآلهة، وعليهم يقصر الأمر.

أما حقوق طبقة البراهمة فهي كثيرة وعظيمة: منها أن طبقة البراهمة لهم السيادة على جميع الطبقات، وأن البرهمي إذا ما افتقر له الحق في التسول، ولا يعاب عليه، كما يجوز له أن ينهب أموال الآخرين. أن البرهمي له الحق في التزوج من جميع الطبقات، ولا يحق لهذه الأخيرة أن تتزوج من طبقة البراهمة. وإذا ما مات البرهمي فتأخذ امرأته البرهمية ثلاث حصص، والمرأة الكشترية حصتين، والمرأة الويشية حصة ونصف، والمرأة الشودرية حصة واحدة فقط.

كما لا يجوز للملك أن يأخذ أموال البرهمي الذي يموت بلا وارث، بينما يجوز له أن يأخذ من أموال الطوائف الأخرى في حالة عدم وجود الوارث.

كما على السلطان أن يتجنب قتل البرهمي، ولو ارتكب أبشع الجرائم، ولكن له أن يطرده إذا رأى ذلك، على أن يترك له جميع أمواله، وألا يصيبه بأي أذى. ولا يجب عليه -أي السلطان- أن يعامله معاملة الضيف حتى في حالة القحط، لأن ذلك سيعدم حكمه.

كما أن الولد البرهمي البالغ من عمره عشر سنوات يجب أن يقدر ويحترم من غيره، ولو كان عمرهم مائة سنة.⁵⁴

2- طبقة الكشترياو "الراجوتية"

⁵³ فراس السواح، المصدر السابق، ص 135-136.

⁵⁴ انظر: محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص 59-61.

ووظيفة هذه الطبقة الحكم والجيش، لما تتميز به هذه من القوة والشدة، نظرا لمعيشتها البدوية وضعف عقولهم.⁵⁵

3- طبقة الويشأو التورانيون

يرجع أصلهم من تركستان وتوران، هاجروا إلى الهند منذ آلاف السنين، واستقروا فيها بعد أن ألحقوا الهزيمة بالسكان الأصليين. ولما قدما لآريون إلى الهند تصالحوا معهم، ووضعت لهم شرائع خاصة بهم، أهمها:

- القيام بزراعة الأرض، مع العلم بكيفية بذر البذور، وإصلاح الأرض. أو تربية المواشي، وهي أفضل الأعمال التي يجب على الويشي الإتيان بها، لأن الإله لما خلق مخلوقات عهد إلى طبقة الويشي تربية المواشي.

كما يجوز للويشيممارسة التجارة، مع وجوب إتقانها ومعرفة قيمة الجواهر، واللؤلؤ والمرجان، والمعادن، والثياب، والعطور، والبهارات.

لكن إن عجز الويشي عن الإتيان بهذه المهام أو حال بينه وبينها، فعليه أن يتجه إلى العمل عند البراهمة⁵⁶.

4- الشودرا

وهم السكان الأصليين الحقيقيين الذين حاربوا الآريين ألف سنة تقريبا، وفي النهاية استسلموا لهم، ووقعوا أسرى عندهم، فعذبوهم ووضعوا لهم شرائع قاسية، أهمها:

- يجب على الشودرا أن يعيشوا خارج القرى، ويستعملوا الأواني من الطين، ويكون من أموالهم الحمار والكلاب، ويلبسوا أكفان الموتى، والحلية من الحديد.

- يجب عليهم ألا يتحولوا من مكان إلى مكان، ويكون تعاملهم مع طوائفهم فقط، ويحظر عليهم التحول في الليل في القرى والمدن.

- لا يجوز للشودري أن يجمع أموالا زائدة عن حاجته، لان ذلك يؤدي البراهمة. ثالثا: إذا لم يجد الشودرا من خدمة البراهمة قوت حياته، يجوز له أن يخدم عند الكشثريو الويشي، ولكن من العزيمة أن يصير على خدمة البراهمة ليفوز بالجنة.

⁵⁵نظر: محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص60-61.

⁵⁶أنظر: محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص61-62.

-الشودرا الذي يكون تحت البراهمة يولد في الحياة الثانية في أعلى طبقة.

-الشودرا الذي يحاول النيل من البراهمة سيحاكم وينزل عليه أشد العقاب.

-ولد البراهمي من المرأة الشودرية لا يستحق الإرث.

- لقد أمر الله الشودرا بأمر واحد، وهو خدمة الطوائف الثلاثة، ولا يجد في نفسه حرجا.⁵⁷

وكل هذه الطبقات تعرضت إلى الانصهار والامتزاج، نتيجة عوامل الزمن، إلا البرهمية التي حافظت على نقاوتها، ولم تسمح لبقية الطبقات بالاقتراب منها.⁵⁸

الفرع العاشر: عبادة الإنسان العادي اليوم

الإنسان الهندي يقدس كل الكائنات الخارقة، وعدد هذه الكائنات غير محدود، واتاد الهندوس القول إن آلهتهم تقدر بحوالي 330 مليون إله.

وباعتقاد مشترك كهذا، فإن القروي العادي ينتقل من مقام إلى آخر وفقا للحاجة الناشئة، فإذا ما كان يرغب بإزالة بعض العوائق من امام عمل له فإنه يصلي لـ "جانيشا" ابن شيفا، وإذا ما رغب بقوة جسمانية أعظم، فإنه يصلي لـ "هانومان"، القرد، وإذا ما كان والده في حضرة الموت فإنه يتوجه بتوسلاته إلى "راما"⁵⁹.

⁵⁷ أنظر: محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 63-65.

⁵⁸ احمد شلي، أديان الهند، ص 54.

⁵⁹ فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، 4/128.

المطلب الثالث: العبادات

في حياته التعبدي لا يشعر الإنسان العادي بحاجته الشخصية للتعبير عن وعيه الديني فحسب، ولكن بضرورة استمرارية العبادة باسمه طوال الوقت وتأخذ العبادة في مكان إقامته أشكالاً مختلفة ثلاثة في آن واحد. أولاً هو يصلي وفقاً للحاجة الناشئة، سواء أكان ذلك في المنزل أو في المعبد أو في أي مكان آخر. ومن خلال أفعاله الطقوسية ثانياً يقوم كاهن أو أحد أفراد الأسرة بتطبيق بعض الطقوس الأهلية البسيطة باسم الأسرة أمام صورة أو رمز لإله المنزل. ثالثاً يقوم الكهنة المحليون باسمه واسم كامل الجماعة بتنفيذ احتفال من الولاء والطاعة عدة مرات يومياً في المعبد المحلي أو المقام.⁶⁰

لكن ذلك كله لا يلبي حاجات الإنسان العادي بالكامل، إنه يتوق للذهاب إلى بعض الأماكن المقدسة المكرسة للحج حيث يمكن أن يتلقى بركات خاصة. ولن نكون قد ذهبنا بعيداً إذا ما قلنا بان ملايين الهندوس يتلقون شعورهم بالرضى الديني من الحج الذي يقومون به نومن احتفالات المعابد التي يحضرونها. والأماكن المقدسة قسماً:

- أماكن مقدسة من حيث هي كذلك.

- أماكن مقدسة بعد إقامة المعابد والمقامات عليها، لذلك من الصعب أحياناً معرفة أي مجموعة يمكن أن نضع فيها أقدام الأماكن المقدسة.

الأماكن المقدسة توجد معظمها على طول الأنهار العظيمة، ويعتبر "الغانج" أقدس الأنهار في مختلف أرجاء البلاد وتتوضح قدسيته من خلال الأسطورة القائلة بأنه ينبع من تحت أقدام "فيشنو" في السماء ويتساقط إلى الأسفل على رأس "شيفا" ويسيل من بين شعره، وتقع إحدى أقدس البقع على طول مجراه في نبعه الذي يتفجر قويا وصافيا من جبال الهمالايا.

لكن "بيناريس" هي المكان الذي يذهب إليه معظم الحجاج لغسل ذنوبهم عنهم، وغالبا ما تنتاب الحجاج موجة فرح عارمة عند دخولهم إلى أراضي المدينة المقدسة حيث تلوح لهم أبراج معبدها من مسافة بعيدة فيخرون على الأرض ساجدين، ويهيلون التراب على رؤوسهم علامة على خضوعهم الروحي، ويتابعون مسيرهم بسرور إلى درج "عاتس" للاستحمام على طول النهر، ويتطهرون بالغطس في المياه المنظفة المقدسة للام غانجا. وعندما يبدوون رحلة العودة إلى أوطانهم في نهاية الأمر يكونون على قناعة مثيرة للفرح والاطمئنان بان جميع ذنوبهم في السابقة قد تم التكفير عنها، وأصبح المستقبل مضمونا، فإذا ما أصاب مرض

⁶⁰ فراس السواح، المصدر السابق، 4/128-129.

قاتل احد الحجاج، وهو لا يزال ضمن الأراضي المقدسة تلك، فإن كل شيء سيسير على ما يرام بالنسبة إليه، لأن كل من يموت على ذلك التراب المقدس، ولا سيما إذا ما غمرت قدماه في النهر المقدس واحرق جسده على الدرجة المخصصة لذلك مترافقا بالطقوس المعهودة، فانه سيذهب إلى جنة شيفا ذات المتعة اللانهائية.⁶¹

الفرع الاول:عبادة الأصنام

لا يعرف بالتحديد العهد الذي ابتدأت فيه عبادة الأصنام في الهند،وقد وجد علماء الآثار مجموعة كبيرة من الأصنام في حفريات "موهانجودورو"هاروبا" وأكثر هذه الأصنام كانت عارية من اللباس.وفيه إشارة واضحة إلى أن النجاة لا تحصل ما دام الإنسان يعيش حياة دنيوية،وراغبا في الملذاتوالملابس. كما انه بمقابل ذلك وجدت أيضا أصنام مزينة بأنواع من الألوان الجذابة،ومحلاة بانوا من الحلي والملابس.

ولا شك أن هذه الأصنام من اعمل فرقة "فشنو" التي اهتمت بالمظاهر الخارجية لجذب الناس إلى جماعتها،وكذلك كانت عبادة الأصنام معروفة أيضا بشكل الذكر والفرج،وكان سيفا وزوجته رمزا إليهما.

ومن الأصنام التي اشتهرت عبادتها في الهند "ماترى ديوي" أي ارض الوطن. ويمجد الهنود عبادتها باسم الأرض، لأن الأرض هي أول مهد تقوم برعاية الطفل ثم يتخذ الإنسان مستقرا له طيلة حياته.

ويجزم علماء الأديانبان الآريين ما كانوا يعرفون عبادة الأصنام، فلما اختلطوا بأهل الهند بدؤوا ينحتون لألهتهم تمثالا لأهل الهند. وبالتقاء الحضارتين، الحضارة الهندية القديمة،والحضارة الآرية ظهر مذهب جديد بالهندوسية، فوجد أحيانا غلبة آلهة الآريين، وأحيانا أخرى غلبة آلهة سكان الهند الأصليينإلى أن جاء "بوذا" ومهابير سوامي" قبل الميلاد بخمسة قرون، فأثروا على الهندوسية تأثيرا قويا، فصارت الهندوسية مزيجا من اعتقادات الآريين وخرافات أهل الهند.⁶²

الفرع الثاني:عبادة الأبقار

حظيت البقرة في الديانة الهندوسية بأسمى مكانة،وارفع درجة، وأعلى منزلة، لأنها كانت من اغلي ثروات الآريين،ولهذاقدست،جاء في "ريج فيدا": "إن البقرة أم الأبطال، الذين يقهرون الأعداء،وهي ابنة الإله،

⁶¹فراس السواح، المصدر السابق،4/130-131.

⁶² محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص90-92.

وأخت أبناء آدت (اسم الإله) ومركز الحياة، فإني أطلب من الرجال الغيورين عدم ذبحها. " ⁶³ وجاء: " إن الذي يضرب البقرة برجله يستحق العقاب. " ⁶⁴

وكان غاندي من أكبر المقدسين للبقرة، يقول: " الديانة الهندوسية ستبقى على وجه الأرض، ما دام الهندوس يحافظون على البقرة. " ⁶⁵

وقتل البقرة أو التعدي عليها يعتبر من أفظع الجرائم.

يقول وليامس: " البقرة هي الأكثر قداسة من بين جميع الحيوانات، فكل جزء من جسدها مسكون بإله أو آخر، كل شعرة من شعر جسمها محرمة، وكل فضلاتها مقدسة، إلا لا يجوز رمي أي جزء منه لأنه غير طاهر، بل العكس هو الصحيح. فالماء الذي تطرحه يجب حفظه باعتباره أفضل من أي ماء مقدس - فهو سائل يقتل الخطيئة ويطهر كل شيء يلمسه. في حين لا شيء يطهر مثل روث البقر، وأية بقعة تتنازل البقرة وتشرفها بما تخرجه من غوطها تصبح منذ تلك اللحظة وإلى الأبد أرضا مقدسة، وأكثر الأمكنة قدارة، تصبح إذا ما طليت بهذا الروث نظيفة فورا، وتتخلص من النجاسة، بينما الرماد الناجم عن حرق هذا الجوهر المقدس هو ذو طبيعة مقدسة، بحيث لا يكتفي بتنظيف كل الأشياء المادية، مهما كانت متسخة من سابق، بل ويكفي أن يذر على رأس رجل مرتكب للمعاصي حتى يتحول إلى قديس. " ⁶⁶

وجرى نقل رمزية البقرة بدرجة معينة إلى الثور، وتحرير الثيران المكرسة "لشيئا" بحيث تستطيع التحوال عبر الطرقات يعتبر عملا ذا فضيلة كبيرة، وعندما يتم ذلك باسم شخص توفي حديثا، فإنه ذو منفعة عظيمة له في حياته الآخرة. كان قتل الأبقار في أزمنة ماضية يستوجب عقوبة الإعدام، ولا يزال الناس يبنذون لهذا السبب، لقد كان ذلك مصدرا أساسيا للنزاع بين المسلمين والهندوس.

في مواسم معينة من السنة، تتلقى الأبقار في أجزاء عديدة من الهند التكريم الممنوح للآلهة، فتطوق رقابها بالقلائد، وبصب الزيت على مقدم رؤوسها والماء على أقدامها، في حين تغرورق عيون الحضور بدموع التعاطف والامتنان.

ويستخدم روث الأبقار اليوم بطرق عديدة في معظم قرى الهند، انه يستخدم كوقود، وعنصر معقم يذوب في الماء المستعمل في غسل الأرضيات، وعتبات الأبواب والجدران، وكأحد مكونات الطينة التي تطين بها

⁶³ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص93.

⁶⁴ نفس المكان.

⁶⁵ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص95.

⁶⁶ فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، 4/133.

الجدران، وكدواء. وفي بعض المناطق الريفية، يقوم الرجل الذي هو على فراش الموت بالقبض على ذيل بقرة مربوطة إلى جانب سريره من اجل ضمان انتقاله سالما من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى. وإذا لم يكن بالإمكان إدخال البقرة إلى المنزل فإنه يمسك حبلا مربوطة إلى ذيل بقرة خارج الغرفة.⁶⁷

الفرع الثالث: الصلاة

وهي عندهم على نوعين: الأولى يسمى "ياك أويجيا" وهو إشعال النار في مكان معين، وقراءة أناشيد خاصة من "الفيدات" و"أبا نشاد" لاستحلاب حب الآلهة، وطلب الغارة للذنوب .

"ويجيا" له أشكال ومناسبات كثيرة منها: ترسيخ قوائم السلطة، ومنها تقديم الشكر والامتنان للآلهة.

وقد أجريت فيه تعديلات كثيرة، ويجب أن يتم "يجيا" من طرف رجل برهمي، لأنه هو الواسطة بين الخلق والخالق.

الثاني: يسمى "بوجا" وهو التسييح والتجميد للآلهة، وتقديم القرابين لهم من زهور وفواكه وماء مخلوط من الزعفران. ولكل إله من الآلهة طقوس، وطريقة خاصة لتقديم القرابين من الزهور والماء وغيرهما، فالبعض يقدم له الماء من كفة اليد، والبعض الآخر يقدم له الماء من ودعة كبيرة.⁶⁸

الفرع الرابع: الصوم

يحتل الصوم مكانة متميزة في الهندوسية، وله شهرة كبيرة بين الهندوس. وهم يعتقدون أنه هو أفضل وسيلة لكسر الشهوات، والارتقاء الروحي. ولهذا أوجبت الهندوسية الصوم على رجال الدين والنسك والرهبان .

وللصوم طرق كثيرة منها: ترك الطعام والشراب ليلا ونهارا بدون إفطار لأيام غير محدودة. ومنها اجتناب الطعام دون الماء واللبن بقدر الحاجة. ومنها أن يأكلوا أياما في الظهيرة فقط. ومنها أن يأكلوا بعد غروب الشمس مرة واحدة فقط.

وهناك حالة غريبة في الصوم توجد عند النسك وهي الصوم المتواصل المؤدي إلى الموت، إذ يصوم النسك، ولا يفطرون إلا بنبات خاص يعصر في حلوقهم، فيبقون على قيد الحياة شبه الميت. ولا يزالون على هذه الحالة حتى يموتوا.

⁶⁷ فراس السواح، المصدر السابق، 4/133-134.

⁶⁸ محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص95.

وأما عامة الناس فعندهم أيام الصوم محدودة مثل أن يعين الشخص لنفسه أن يصوم يوم كذا، واليوم العاشر و الحادي عشر من كل شهر قمري. وأيام مولد "كرشنا" و"راما" و"برهلااد" ووقت كسوف الشمس والقمر، ويوم النصر على أعدائهم مثل يوم نصر "راما" على "راون" وليس شيئاً واجباً عليهم، وإنما هو من التطوع.⁶⁹

الفرع الخامس: الحج

ويسمى "ياترا" ومعناه الغوي "عبور النهر" وهو ينقسم إلى قسمين: زيارة الأشخاص بالاستماع إلى مواعظهم، والاستمتاع بصحبتهم، وزيارة الأماكن المقدسة بعبادة الأصنام في هذه الأماكن. وهي أربعة أماكن: 1- دواركا. 2- جكنات بوري. 3- بادر كاشرم. 4- راميشور.

كما أن الأنهار لها قداسة خاصة في الهندوسية، فيغتسلون فيه مثل نهرى: "كنكا" و"جامنا" في مدينتي "واراناسي" و"الله آباد"

ومن آداب الحج

أولاً- يجب على الزائر أن يترك الأهل والأقارب، ولا يتصل بهم فترة حجه أبداً ولا يفكر فيهم.

ثانياً- وعند الميقات وهو مسافة كيلو متر من بيته يتخلى عن لباسه، فيغتسل ويختار لباس الإحرام، وهو قميص طويل، وغزار بلون أصفر، ويأخذ عصا من القصب الهندي، ويلقى عليها نوعاً خاصاً من الآنية للماء، ويخرج مرتلاً الورد الخاص وهو: هرى كرشن هرى رام .

ومن الأفضل أن يمشي على قدميه، وهو واجب على البراهمي، وتطوع على غيره.⁷⁰

ثانياً- إشعال النار

يوجد في البيت الآري نار مقدسة تشتعل منذ بداية إنشائه، أعني خلال حفل الزواج، وهي ليست نار عادية، فينبغي ألا تستخدم في إعداد الطعام أو الأغراض المنزلية الأخرى. وكذلك، ينبغي إشعالها بأنواع خاصة من الخشب، وبطريقة معينة هي حك العصي ببعضها، وينبغي ألا تترك حتى تحمد. ولا بد أنه يتقدم رب الأسرة لهذه النار يومياً بقرايين للآلهة، بل إنه في الواقع ملزم بالقيام ثلاث مرات في اليوم بما يسمى "بالتضحيات الخمس الكبرى" عبادة براهمان، روح العالم، وقوامها تعليم الفيدا أو تلاوتها، وعبادة الآباء بتقديم الطعام والماء لتغذيتهم، وعبادة الآلهة بإحراق القرايين، وعبادة الموجودات الحية أو الأرواح، بنثر

⁶⁹ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 96.

⁷⁰ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، 98-99.

الحبوب في الجهات الأربع والمركز، وفي الهواء، وعلى أواني المنزل، ووضع الطعام على عتبة الدار للمنبوذين و الحيوانات والطيور والحشرات، وعبادة الرجال عن طريق تقديم الضيافة إلى الآري، ويفضل البرهمي العليم بالفيدا.⁷¹

الفرع السادس: عبادة الأسلاف

إن النظرية الخاصة "بالشرادا" وهي أن يقدم الأحياء الطعام على الأسلاف الذين يقطنون "عالم الآباء" وذلك، بأن يقدموا لهم قرايين من كرات الأرز والماء، بينما يضيفي الأسلاف النعم على أحفادهم الأحياء بمنحهم إياهم النجاح والازدهار والذرية وما شابه ذلك.

ومن أوجب الواجبات على الأحياء أداء الطقوس الجنائزية على الميت بالشكل المطلوب، حيث تحمل الجثة -بعد الوفاة بقليل- إلى أرض المحرقة في موكب من الأقارب يتقدمه الابن الأكبر الذي يسير على رأس المحزونين، ويخلف المرحوم كرب للبيت، وتحرق الجثة بينما يطوف أهل الميت حول المحرقة، لا في اتجاه عقارب الساعة الذي يبشر بالسعادة، وإنما في عكس اتجاه سيرها، وبعد ذلك، يغتسلون ويعودون إلى البيت في موكب يتقدمه هذه المرة أصغر الأبناء سنا. وفي اليوم الثالث من حرق الجثة تلقى العظام في النهر، ويفضل أن يكون نهر الكنج حيث لا يزال يوجد على ضفتيه أدراج "الجوط" والتي تسير الحركة إلى النهر. كما فعلت منذ آلاف السنين، ولمدة عشرة أيام يواصلون سكب الماء، وتقدم القرايين من كرات الأرز وقوارير اللبن للمرحوم، وفي هذا الوقت أو بعد تمام السنة يتم القيام بما يسمى "بالسبندكرانا" التي تجعل الميت يتناول البندا (أقراص الأرز) مع أسلافه أو أسلافها فيما يسمى (الشرذا) كل شهر، وهم يعتقدون أن الروح أتكتسب بدنا رقيقا يمكنها من القيام بالرحلة إلى "عالم الآباء".⁷²

الفرع السابع: الرهبنة

أحكام الأدوار الأربعة للحياة الهندوسية: الهندوسية تقسم حياة الإنسان إلى أربعة مراحل تستغرق خمسا وعشرين سنة باعتبار أن متوسط العمر مائة عام، كما تضع لكل مرحلة أحكام خاصة بها.

المرحلة الأولى: مرحلة التربية والتعليم

يبدأ هذا الدور من ثماني سنوات إلى أربع وعشرين سنة. ومن أكد الواجبات لهذا الدور أن يتجنب الطالب استعمال العطور والتزيين الظاهري، ويتعد عن النساء.

جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت: عالم

⁷¹ المعرفة، ط1، 1993، م1، 111.

⁷² جفري بارندر، المرجع نفسه، 112.

المرحلة الثانية: الحياة العائلية

في بداية تاريخ الرهبنة كان يفضل الرهبنة على تكوين العائلة. ولكن لأنها أنتجت آثارا سلبية كثيرة، فقد عدل عنها. وأصبح ينصح بالزواج وتكوين الأسرة، وكان "منو" هو أول من دعا إلى ذلك.

المرحلة الثالثة مرحلة التربية الجسدية والروحية

يقول "منو" "إذا بلغ الإنسان من العمر عتيا، وابيض رأسه، وتغضن وجهه، وولد أولاد لأولاده يجب عليه أن يترك الحياة الدنيوية، ويتوجه إلى الغابة، ويصحب معه زوجته إذا رغبت في ذلك، أو يتركها عند أولادها. ويعيش على الثمار والغلات التي تنتبها الأرض، ويلبس جلود الغزال، ويستحم كل يوم، ويرى شعر رأسه، ويوفر لحيته، وشواربه، ولا يقلم أظفاره."⁷³

ويقول: "ولا يبالي بالراحة الجسدية، ويعيش حياة بر مجارية، يعني لا يقترب من زوجته إن كانت معه، وينام على الأرض، ويتخذ من أصول الشجرة بيتا، ويستظل بظلها".⁷⁴

المرحلة الرابعة مرحلة دور الحياة الرهبانية

في هذه المرحلة يصل الإنسان إلى الكمال الذي ينشده. فترفع عنه التكليف، ويتحد مع الله تعالى. ويصبح معبودا لدى، وعليه أن يخلق لحيته وشواربه، ويقلم أظفاره، ويحمل معه الكشكول، وعليه أن يتسول في اليوم مرة واحدة فقط.

ويخصص "ديانند" الحياة الرهبانية الكاملة لطائفة البراهمة فقط، إذ أنهم أفضل الخلق على الإطلاق، وأفضل الأعمال البشرية هو اختيار الحياة الرهبانية، فوجب أن تكون مقصورة على طائفة البراهمة.⁷⁵

- طرق النجاة

- طريقة العمل

طريقة قديمة جدا، ومن الممكن تسميتها بطريق الطقوس، لا سيما الطقوس المنزلية، وهي تتمتع فضلا عن كونها متبعة من قبل الأكثرية الساحقة من الناس، بمزايا ثلاث: فهي عملية، وقابلة للفهم، وتتمتع بمصادقة

⁷³ محمد الأعظمي، المصدر السابق. ص 80.

⁷⁴ محمد الأعظمي، المرجع نفسه. ص 80.

⁷⁵ محمد الأعظمي، المرجع نفسه. ص 81-82.

العادات القديمة (دارما) عليها. إنه ليست طريقة عاطفية بامتياز، إلا أنها ليست فكرية بالكامل، إنها الإتياع المنهجي للطقوس والشعائر والواجبات الدنية التي تكسب المرء حسنات أكثر.

وهذه الطقوس تبقى ثابتة، بل تعرضت إلى عدة تغييرات، وراحت تشريعات متنوعة تنبثق تدريجياً إلى الوجود. حيث راحت تمزج العادات القديمة مع الجديدة، مثل قانون "مانو" التي وضعت حوالي 200 ق م.

ومن بين أكثر الطقوس أهمية، لدينا تلك التي تعقب الوفاة، وتتوجه إلى أرواح الأجداد بالخدمة والرعاية، ويطلق عليها اسم طقوس "الشردا". بدون هذه الشعائر يبدو لمعظم الهندوس أن فترة وجود النفس في الحياة الآخرة كسلف مقدس سوف تختصر، وسيكون عليها الدخول في مباشرة في دائرة الولادة، والولادة الثانية وفقاً لقانون كارما.

إن طقوس "الشردا" التي تتكون من رفع الصلوات الدورية، وتقديم مواد الطعام، هي ضرورية لكي ترواح الأجداد وبدون هذه الرعاية، تخور قواها وتنهار وتمثل فشلاً ذريعاً وتنحرف باتجاه المجهول.⁷⁶

- طريقة العلم

يقوم حل مسألة الحياة، من خلال طريقة المعرفة أو العلم، على الأفكار المبتوتة في "الأوبانيشاد"، إن أولئك الذين يتشاركون ذلك الهوى المعرفي "للأوبانيشاد" هم وحدهم من يستطيع إتباعها والسير في طريقها.

على عتبة طريقة العلم نجد أن فرضية تقول أن سبب البؤس الإنساني، هو الجهل "أفيديا" أو "اللاحكمة أو عدم الإبصار". فالإنسان يتلفح بجهل مطبق عموماً بخصوص طبيعته، وهذا ما يجعل كل أفعاله ذات توجه خاطئ، ليست الخطيئة الأخلاقية إذن هي أصل البؤس الإنساني والشر وإنما الخطأ العقلي.

تتفق جميع الأنظمة الفلسفية الهندوسية على هذا الافتراض المسبق، إنها وجهة نظر مميزة للهندوس.⁷⁷

- طريقة التقوى

هذه الحياة خاصة بعوام الناس، وقد أشار "مانو" إلى هذه الطريقة من النجاة، حيث ظهرت طريقة التقوى أو "مارغا". ومن الممكن تعريفه "باعتبارها انقطاعاً لعبادة ألوهية معينة والتعبير عن الامتنان والشكر لمساعدتها الموعدة أو التي تم تلقيها. وهي غالباً ما تتخذ شكل حب موجه لإله أو إلهة يجري من خلاله

⁷⁶ فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، 4/85-88.

⁷⁷ فراس السواح، المرجع نفسه، 4/89.

تسليم النفس لهذه الألوهة وما يرافق ذلك من سلوكيات سواء في طقوس التعبّد أم في التفكير والحياة الخاصة.⁷⁸

في الهندوسية الشعبية، كان للبهائية تأثير كبير على الأشكال الخارجية للدين فقد ظهرت فرق وطوائف مختلفة كثيرة تسعى لتحقيق الخلاص من خلال التقوى، وفي الوقت نفسه لا تنكر مشروعية طريقة الأعمال وطريقة العلم. بل ربما جرى الاعتراف بتفوق هاتين الطريقتين، مع التأكيد على أن تقوى الآلهة هي طريقة صحيحة وتؤدي للخلاص.⁷⁹

-طريقة الحب

هي تلك العاطفة القوية لله تعالى، والمتدفقة نحوه دائماً، جاء في "بها غافاد بورانا": "كما تتدفق مياه نهر الغانج بدون توقف نحو المحيط، كذلك، فور سماع المحبين لصفاتي، تتحرك قلوبهم -باستمرار ودون توقف- نحو الكائن الأسمى الساكن في قلوبهم."⁸⁰

وعن طريق الحب يعرف الله، وتبتهج النفس، ويحدث الخلاص.

⁷⁸ فراس السواح، المصدر السابق، 95/4.

⁷⁹ فراس السواح، المرجع نفسه، 96/4.

⁸⁰ هوستن سميث، أديان العالم، ص 62-63..

المطلب الرابع: أحكام الأسرة

الفرع الأول: النكاح

النكاح في الهندوسية يتم بثلاثة طرق وهي: إما البحث عن الزوج للبت أو الغصب، أو أن يقدم ابنته هدية للعالم. وكان حفل الزواج يعقد في بيت العروس، حيث يحضر الزوج مع أصدقائه وأقاربه، فكانت تشعل النيران في مكان طاهر من البيت، ويصب فيها السمن الخالص من البقرة، ويربط ذيل كل من العروسين بالآخر، وهما يطوفان حول النار عدة مرات، ورجل من البراهمة يقوم بقراءة بعض فقرات من الفيديا.

الفرع الثاني: تعدد الزوجات

الهندوسية تجيز تعدد الزوجات، رغم أن "الفيديا" تحث على الاكتفاء بزوجة واحدة. وكان أبطال الهندوس مشهورين بالتعدد، فهذا "أرجنا" كانت له عدة زوجات، و"كرشنا" كانت له سبعة عشر ألف زوجة.⁸¹

الفرع الثالث: نكاح الأرامل

لا نجد في "الفيديا" ذكر لنكاح الأرامل، بل إن تعاليم "الفيديا" تحث الأرامل على اختيار الموت مع الزوج المتوفي. فكانت المرأة الهندوسية تجلس مع زوجها المتوفي على النار وتحترق معه. ويعتبر هذا من أعمال البر والفضيلة للمرأة الهندوسية.

وهذه العادة كانت سائدة في أنحاء الهند، ولكن الآن القوانين الهندية تمنع هذه العادة البشعة. كانت الحكومة البريطانية هي أول من سنت قانون التحريم في 1829م.

والأرملة التي تبقى على قيد الحياة تعيش حياة قاسية، يقول "منو": "يجب على الأرملة أن تعيش على الخضراوات، وتضعف جسمها، ولا تفكر في زوج آخر".

حتى البنت التي مات عليها زوجها قبل الدخول بها يجرم عليها أن تتزوج برجل آخر، وخاصة إذا كانت من طائفة البراهمة، والكشترية، والويش. أما الرجل فيجوز له أن يتزوج بامرأة أخرى، إذا ماتت زوجته الأولى، إلا أن "ديانند" ينكر ذلك.⁸²

الفرع الرابع: تحريم القرابة في النكاح

⁸¹ محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص 83-84.

⁸² محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص 84-86.

يقول "منو": "يتزوج من المرأة التي لا تتصل قرابتها بالزوج من جهة الأب أو الأم إلى سبعة أجيال ماضية."⁸³

الفرع الخامس: الزواج في السن المبكرة

البنات التي لم يتزوجها أبوها أو أخوها الأكبر للسنة العاشرة من عمرها، وهي في سن البلوغ، كلهم يدخلون النار. وأما "منو" فيشترط مضي ثلاث سنوات بعد البلوغ للزواج.⁸⁴

الفرع السادس: زواج المتعة

يبيح "ديانند" المتعة للأرامل وغيرها، ويحرم الزواج الثاني، وكذلك يجوز للرجل الذي ماتت زوجته أن يتمتع بالمرأة المتزوجة لتلد له مرتين، وأربع مرات لأربع نساء.⁸⁵

الفرع السابع: الحجاب

المرأة الهندوسية لم تكن تتحجب بحجاب معروف، ولها أن تختلط بالرجال في حالات منها: حفلات الزواج، وتقديم القرابين للآلهة، كما يجوز لها أن ترقص أمام الصنم للحصول على رضائه.⁸⁶

الفرع الثامن: الاعتزال في حالة الحيض

يقول "منو": "يجب على المرء أن يحذر من المرأة في حال الحيض، فلا ينام معها، ولا يجامعها، فإن من فعل ذلك يبتلى بالضعف في الجسم والباءة والنظر، كما ينقص من عمره."⁸⁷

⁸³ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 86.

⁸⁴ نفس المكان.

⁸⁵ نفس المكان.

⁸⁶ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص 87.

⁸⁷ نفس المكان.

المطلب الخامس: الفرق الهندوسية

هناك الكثير من الفرق في الهندوسية، حتى شبهها غوستاف لوبون "بورق الشجر في غابة كبيرة".⁸⁸

ويمكن التعرف على الهندوس المنتمين للفرق من خلال العلامات التي يحملونها، فإذا كانوا من أتباع فشنو فلهم علامتان متوازيتان من وشم ترابي أبيض ينحدر من خط الشعر حتى قصبه الأنف مع خط راسي يربط بينهما في الأسفل مع إضافة علامة مميزة خاصة بالفرقة التي ينتمون إليها، كذلك، سيميزهم عقد ومسبحة حياتها مصنوعة من شجيرة مقدسة عند فشنو، أما إذا كانوا من أتباع شيفا فهم يضعون ثلاثة خطوط أفقية متوازية من وشم ترابي على جباههم، ويلتحق الهندوسي بفرقته الدينية عن طريق الترسيم الديني، والعنصر الحاسم فيها هو اتصال العضو بالصيغ المقدسة لفرقته عن طريق المعلم الروحي.⁸⁹

الفرع الاول: فرقة فشنو

يعتقد أتباع هذه الفرقة أن الخالق هو "فشنو" هو الخالق والحافظ، ويصفونه بكل صفات الكمال الإلهي. وكان هو المعبود الوحيد، ولكن مع مرور الوقت أصبح "كرشنا" ينافس في هذه الوظيفة انه يراقب من السماء، وكلما شاهد قيما في خطر أو خيرا في تملكه، دفع بتأثيره الحافظ دفاعا عنها. ولذلك، فهو ينافس "شيفا" في شعبيته بين العامة، وتجذب قصص نشاطاته الإلهية أتباعا متزايدين. عادة ما يجري تمثيله بأربعة أذرع، يحمل في ذراعين منها شعارات ورموز سلطته الملكية وهي الصولجان وقرص الرمي، وفي الآخرين شعارات قوته السحرية وطهارته وهي اللوتس والصدفة يعلو رأسه تاج عال وإكليل، وقدماه زرقاوان، وكسوته صفراء، وله عينا اللوتس اللتان يعجب بهما الهندوس كثيرا.

يحدد عدد تجسيدات "فيشنو" تقليديا بالعدد عشرة، ولو أن الاعتقاد الشعبي يوسع العدد إلى أكبر من ذلك. وهناك تسعة من التجسيدات الواردة في القائمة التقليدية قد سبق لها أن حصلت، بينما لا تزال العاشرة على لائحة الانتظار. وهو الذي سيكون في شخص (كالكي) وهو عبارة عن مسيح منتظر بسيف من لهب، يمتطي حصانا أبيض، سيأتي إلى إنقاذ الفاضل وتدمير الشرير في نهاية الدور الرابع للعالم دور التفسخ والانحلال.

ما هو مهم هنا هو أن بوذا موجود في اللائحة، ويشك المرء في أن إضافة اسم المؤسس العظيم للبوذية إلى تجسيدات "فيشنو" هو مناورة تكتيكية صممت بنجاح لمصالحة البوذية والهندوسية.

⁸⁸ حضارات الهند، ص 611.

⁸⁹ جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص 135.

على أن التجسّدات الأكثر شعبية بما لا يقارن هي تلك التي لراما وكريشنا.⁹⁰

ومن أهم عقائد فرقة "فشنو" هي:

- مشيئة الله غالبية على كل شيء.

- النجاة تحصل حتى في الدور الثاني من العمر، بدون الدخول في الدور الثالث أو الرابع.

- من ملك نفسه ملك غيره.

- روح واحدة تنتقل في جميع المخلوقات.⁹¹

الفرع الثاني: فرقة سيفا

نسبة إلى الإله "شيفا"، وكانت هي المسيطرة على المجموعات الأخرى خلال الألف سنة التي أعقبت عام 100م، ومكان الشيفاييون هم من طوروا إبان الفترة من القرن 7 إلى 12م تلك العلاقة بين النشوة الجنسية والدين، والتي برزت بشكل واضح في طقوسهم "الشاكتية" نسبة إلى شاكتي قرينة شيفا وعمارتهم وفنهم في النحت والأدب، ثم أخلو المشهد. ف منذ 1100م وحتى اليوم جاء دور الفيشنوية كسب الجزء الأكبر من عامة الشعب، ووجد فيض من أدب جديد اعتبر سببا ونتيجة في آن معا لكل ذلك.⁹²

هذه الفرقة كانت معرفة في السند، ولها ذكر في "ريج فيدا"، ومن أهم معتقداتها:

-أنها تؤمن بان "شيفا" ليس له وجود ولا عدم، وهو محيط بكل شيء.

ومن أعمال هذه الفرقة: أنها فضل الجوع على الشبع، وإن احتاجت إلى الأكل تأكل في الجماجم، وتستأنس بالوحشة القاتلة، كما تحب البقاء ساعات في محلات تحريق الجثث.

وقد انتشرت هذه الفرقة في الهند أكثر من غيرها، وتوجد لها معابد خاصة في كل الهند يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل المسيح.⁹³

يقول "كرشنا": لقد شرع الله أديانا مختلفة بما يتناسب ما الأنماط المختلفة من البشر، ومع الأزمنة المتغيرة والبلدان المتنوعة، كل العقائد ليست أكثر من طرق متعددة، والطريق ليس مجال من الأحوال الله نفسه.

⁹⁰ فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، 4/124-126.

⁹¹ محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند. ص 88-89.

⁹² فراس السواح، المرجع السابق، 4/116.

⁹³ محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند. ص 89.

والحقيقية أنه يمكن للإنسان أن يصل لله إذا اتبع بكل إخلاص وصدق، ومن صميم القلب أي واحد من تلك الطرق، بإمكانك أن تأكل الكعكة ذات الكريمة إما بالقطع من سطحها أو بالقطع من جانبها، وفي الحالتين ستذوق نفس الحلاوة.⁹⁴

⁹⁴ هوستن سميث، أديان العالم، ص124.

المبحث الثاني

الجانبية

تمهيد

كانت الجينية عند ظهورها إلى الوجود، مثل البوذية العظيمة التي نشأت حوالي الفترة الزمنية نفسها، ردة فعل على الميول التي أطلقها البراهمة، وفي بعض الأحيان ضدها.

وكانت الحالة في الهند حينئذ حوالي القرن السادس ق م قد أصبحت غير ثابتة، فقد سبق للغزو الآري أن وصل نهايته منذ زمن طويل، ووصل نظام القرابين البراهمني ذروته في وادي "الغنج" ثم بدأ يواجه تغييرات أوحث بتحول من الممارسة الظاهرية إلى الممارسة الباطنية، مما أدى إلى توقفه في حالة تشبه الفوضى والاضطراب، وكان آخر من انحنى للقوة الآية في المناطق الواقعة إلى الشمال من "الغنج" وبعيدا إلى الشرق قد أخذ يتعثر في مقاومة لغة الآريين وعاداتهم وديانتهم، بينما كان نظام الطبقات الاجتماعية للأيام اللاحقة لا يزال في طول التشكل، وعندما طرحت طبقة الكهنوت مزاعمها العريضة في التفوق الروحي والاجتماعي بادر الكثيرون من أصحاب المراتب النبلاء، وهم الطبقة التي كان "ماهاويرا" مؤسس الجانية عضوا فيها، إلى مقاومة هذه المزاعم. أما "الكشاتريا" فكانوا في ذلك الوقت نشيطين وقادرين في النقاشات الفلسفية كما تشهد على ذلك مصنفات "الأوبانيشاد"، ووجد العديد منهم في البراهمانية نظاما من الفكر أعطاهم مهلة للتوقف عند عدد من النقاط، ووجدت العقول الصلبة من بينهم رفضا للمثالية القائلة بوحدة الكون، وهي التي أرجعت العالم اليومي المادي إلى كيان وحيد مجهول، وكانت هناك نفوس أمينة عملية وواقعية في نظرتها، قد أعلنت أن ما هو غير حقيقي هو هذا البراهمان الذي كثر الحديث حوله، وليس بالأحرى العالم المادي. لقد بدا لهم أن كل شيء حي، وكل مناحي الكيانات الأخرى، تتمتع بالحقيقية و الواقعية التي تبدى لنا منها. فالناس، و نفوس الناس، والحجارة... يدخلون في خبرتنا عنهم كحقائق واقعية مستقلة بذاتها، واتخذ الصراع ضد المثالية القائلة بوحدة الوجود عند البراهمة صورة إنكار لحقيقة جميع الأرواح المفترضة في العالم، بغض النظر عن تعريفها أو تسميتها، بما فيها الكيانات الإلهية، وقد قاد هذا الموقف في النهاية إلى الإلحاد ونكران الكائن الأسمى.

المطلب الأول: المؤسس

الفرع الأول: حياة جانتا

يدعي الجانتيون أن يدنهم قدم، كقدم العالم، والزعيم الأخير الذي جدد أصولها ونشر عقيدتها هو "مها بير سوامي" (486-540 ق م). والذي كان معاصرا لبوذا. فحصلت بينهما معارك كثيرة، ونقده بوذا في بعض خطبهن .

وقد تقدم "مها بير سوامي" ثلاث وعشرون "تير شنكر" (الرسل الذين يعتقد فيهم الجينيون الألوهية" وكان آخرهم "مهافيرا" وهؤلاء كانوا كلهم في فترة واحدة من الزمان ومن بين كل اثنين منهم يستغرق ملايين السنين بل قد يعجز الرياضي عن ضبطه. يقول "لا لا ديوان جند" في كتابه "هل الجينية أزلية": إن هذه الدنيا قديمة أزلية، لا بداية ولا نهاية فكذلك الجينية.⁹⁵

ثم انقسمت كل إلى قسمين: الدجامبرية والشوتامبرية، ثم انقسمت كل منهما إلى قسمين قسم يعبد الأصنام، وقسم يجرها، فالقسم الذي يجرم عبادة الأصنام من الدجامبرية يسمى "تارانبتحص" ومن الشوتامبرية يسمى "داس".⁹⁶

كان مهافيرا ينتمي إلى تلك المجموعة التي رفضت البرهمية وتبنت موقفا شبيها بموقف فلسفة "الساخيا" المعارضة لمبدأ وحدة الوجود. ومعنى "مهافيرا" أي "الإنسان العظيم" أو "البطل" واسمه الحقيقي هو "ناتا بوتنا فاردامانا" ولد في 599 ق م وتوفي 527 م. وتلف الغموض حياته وتربيته.

يقال أنه ترعرع وشب في بلاطات الهند القديمة، ثم تزوج ورزق بابنة، لكنه لم يكن راضيا عن حياة الأمير، وبعد وفاة والديه (تقول الأسطورة أنهما ماتا عن عمد منهما، عن طريق الجوع الذاتي الطوعي) تخلى عن حياة الأمراء، وكان عمره الواحد والثلاثين، والتحق بالرهبان، خارج المدينة، ومارس الزهد الصارم، وحارب جسده، الذي ينظر إليه إلى أنه هو سبب الألم.

وبعد أشهر من انضمامه إلى رهبنة "بارشافا"، كان "مهافيرا" قد ألحق كل الأذى بجسده، حتى وصل إلى درجة أن خلع رداءه وانطلق يتجول في رحلة وهو عار تماما، راح يجوب السهل والقرى وسط الهند سعيا للتخلص من دورة الولادة والموت والولادة الثانية. كان يعتقد بأمرين هما:

- إنقاذ نفس المرء من الشر (أي تطهير النفس من المادة الملوثة). مستحيل دون ممارسة أفسى أنواع الزهد.

⁹⁵ محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص 662.

⁹⁶ نفس المكان.

- الحفاظ على طهارة النفس وكرامتها يتضمن ممارسة الأهميسا" أي عدم إلحاق الضرر أو الأذى بأي من المخلوقات، لم يكن أي من هذين المعتقدين جديداً، إذ أن "ماهافيرا"أخذهما عن أسلافه في التقليد الفكري الذي أصبح اسمه مرتبطاً به الآن. لكن الإيمان والإخلاص اللذين عاش بهما هذان المعتقدان كانا رائعين.

خلال تنقلاته، لم يمكث أبداً أكثر من ليلة واحدة في قرية أو أكثر من خمس ليالٍ في بلدة، لقد كان مصمماً على عدم إقامة أي ارتباط بأي مكان أو مجموعة من الناس يمكن أن يشدوه إلى العالم و إلى مسرته، في أشهر الفصل المطير الأربعة فقط كان يمكث في المكان نفسه طوال هذه المدة، لان الطرق و الدروب تكون زاخرة بالحياة آنئذ بينما يتطلب مبدأ "الأهميسا" منه البقاء في حالة سكون حتى لا يؤدي أياً من أشكال الحياة التي تدب على الأرض. تستحق المقاطع التالية، التي هي من أقدم وثائق "الجانيا" دراسة دقيقة، فكل عبارة فيها لها مكانتها، إنها تشكل سجلاً فريداً للتوافق مع المبدأ، توضح المجموعة الأولى من هذه المقاطع بصورة بليغة الاحتياطات غير الاعتيادية التي اتخذها "ماهافيرا" كي لا يلحق الأذى، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بأي شيء حي.

كان في مسيره يتأمل بعينين مثبتتين على مكان مربع لطول إنسان أمامه، محققاً في طريقه باهتمام، كان يلتفت قليلاً إلى جانبه، وقليلاً إلى الورا أو يسير بحيث لا يبطأ أي شيء حي.

أصناف عديدة كانت تتجمع فوق جسمه، كائنات حية تزحف هنا وتزحف هناك مسببة له الألم، لكنه كان يمارس ضبط النفس بحيث لا يقوم بحك جلده.

وتحول ذلك المعظم في المكان ببطء دون لن يتوقف عن التأمل، وتسول طعامه دون أن يقتل أية مخلوقات حية.

مقاطع أخرى يمكن أخرى يمكن تكثيفها في الصورة التالية: الظاهر أن "ماهافيرا" جعل من ممارساته عند مسيره مكن حمل مكنسة ناعمة لكنس الدرب كلما كانت تغطيها الحشرات، كان ينظف الأرض عندما يستلقي للنوم أو الراحة خارج البيت، كما كان يتفقد فراشه داخل البيت ليتأكد من انه حال من البيوض والكائنات الحية. وقد رفض كل أنواع الطعام النجس، ولم يقبل في طاسة التسول سوى الطعام المتبقي والمعد أصلاً لغيره. لقد كان يعتبر نفسه مسؤولاً فيما لو قام أحدهم بزق روح شيء ما ليقدمه له، فيكون بذلك سبباً في مقتل كائن حي قد تأثر بالبيض أو البراعم، أو الديدان، أو المن، أو نسيج العنكبوت أو أي شيء آخر. فإذا كان يحمل قطعة قماش يستعملها لتصفية المياه قبل شربها، ويتفقد وعاء الطعام دائماً ليرى ما إذا كان ذلك قد حصل، فإنه يزيل الأجزاء التي تحتوي هذه الأشياء قبل قيامه بأكل ما تبقى "بتحذر وحذر".

أما فيما يتعلق بالدقة التي مارس بها زهده ونسكيته، فإن مجموعة المقاطع التالية هي شهادة كافية على ذلك: " هذه هي القاعدة المتبعة من قبل ذلك المعظم: عندما يكون الفصل البارد في منتصفه يقوم ذلك الذي لا بيت له بالتنقل والتجول نازعا رداءه عن جسده وباسط يديه دون الاتكاء على جذع الشجرة.

عندما تهب الرياح الباردة التي يشعر المرء بها بألم، يقوم بعض الرهبان الذين لا مأوى لهم باللجوء عندئذ إلى ملجأ في الطقس البارد الماطر حماية من الرياح. سنرتدي المزيد من الثياب، ونوقد الخشب، أو أننا سنتمكن من تحمل الأثر المؤلم جدا للبرد، ونحن مكتسبون جيدا، لكن لم يكن ذلك المعظم راغبا في أي شيء، لقد عاني وهو رابط الجأش، محتقرا كل أنواع الملاجئ.

وفي بعض الأحيان من الفصل، كنا نجد ذلك المعظم وهو في حالة تأمل في الظل، وفي الصيف يعرض نفسه للحرارة، حيث كان يجلس متربعا في الشمس.

لم يكن المعظم يطلب النوم بقصد المسرة، فقد أبقى نفسه مستيقظا، ونام قليلا فقط.

لم تكن المقيئات والمسهلات وذهن الجسد بالزيت والاستحمام وغسل الشعر بالشامبو وتنظيف الأسنان كلها لم تكن مستوجبة لديه.⁹⁷

لقد امتنع عن التحدث أو السلام على أحد خشية إقامة روابط شخصية مقبولة مع أي شخص، وهذا ما أحق به الكثير من سوء الظن من قبل القرويين السائلين، لكنه كان يتحمل كل أنواع التهجمات بلا مبالاة صلدة.

وتحول الحكيم دون أن يلقي بالإهانات لا تحتل، ولم تجذبه حكايات الرواة ولا الأغاني، ولا الإشارات، و لا القتال في الساحات أو مباريات الملاكمة.

كانت الكلاب تعضه وتهاجمه، وأناس قليلون فحسب هم الذين لم يهاجموه، ولم يدفعا الكلاب إلى عضه. كان البعض يضربون الراهب، وهم يصرخون "خوكخو" ويدفون بالكلاب لتعضه.

مرة كان جالسا بلا حراك، فقطعوا اجزاء من لحم جسده، واقتلعوا شعره، وغطوا جسمه بالتراب، كانوا يقذفون به في الهواء ويدعونه يسقط على الأرض، أو يضايقونه في جلسته الدينية، لقد تواضع ذلك المعظم، وأهان نفسه بتخليه عن العناية بجسده.

⁹⁷ فراس السوح، موسوعة تاريخ الأديان، 63/4-64.

واصل "ماهافيرا" تنقله وتحواله ما يقرب من اثنتي عشرة سنة، وهو يحافظ على تمسكه بانضباط للذات لا يقهر، وكان أمله الحصول على الخلاص أو التحرر. أما التربة النهائية التي كان يسعى إليها فلم تمتنع عليه، بل سنحت له أخيرا.

وهكذا اصح "ماهافيرا" الجينا" أي المنتصر أو القاهر، وأصبح أتباعه الجانيين، لأنه كان قد حقق "انتصارا" تاما على جسده، وعلى رغباته التي تقدر المرء، وتربطه بعالم المادة والخطيئة هذا.

بحصوله على هذه التجربة التي مر بها وأمضى اثنتي عشرة سنة، وهو يعيشها، بدأ "ماهافيرا" يبحث عن الناس لتعليمهم، وأعقب ذلك تحويل العديد منهم إلى طريقة حياته. وبعد ثلاثين سنة من التنظيم ولتعليم الناجح. أقدم "ماهافيرا"، وهو في سن الثانية والسبعين، وبموجب طقس المجاعة الطوعية الذاتية (سلا خاننا) على "قطع روابط الولادة والشيخوخة والوفاة" وأصبح في النهاية متحررا أو متخلصا من كل أشكال الألم. وطبقا لكل الفرق الجانية، فإن ماهافيرا يستمع الآن بأعلى درجات البركة في مكان اللجوء المسمى "إيساتبراغبارا" في حالة تخضع لولادة ثانية بعد الآن.⁹⁸

الفرع الثاني: الأتباع بعد ماهافيرا

كان الانطباع الذي تركه "ماهافيرا" على أتباعه عظيما بحيث أفسح المجال لظهور الأساطير حوله بسرعة. ففي الوقت الذي كان فيه الأتباع يستقلون هن الهندوسية (على الطريقة البروتستانية) كانوا منشغلين بجياكة قصصهم حول الأصل الإلهي "لمهافيرا" وصفاته.

لقد تم اعتبار ولادته شيئا خارقا للطبيعة، وجرى إعلانه بأنه الأخير في سلسلة طويلة من الكائنات المخلصة المسماة "تيرثا نكارا". لقد انحدر من السماء ليدخل رحم امرأة، وعندما اكتشفت الآلهة أن تلك المرأة كانت من جماعة البراهمة، وبالتالي جديرة بحمل "المصحح" المستقبلي للبراهمة، قاموا بنقل الجنين إلى رحم امرأة من طبقة "الكالكشاتريا" فشب ظاهرا بلا اثم (إذ إن ذلك المعظم كان يدع أي شيء آثم). وكان كلي المعرفة.

إلا أن مكانة "ماهافيرا" أصابها الغموض بمرور الوقت بسبب التعظيم الذي منح لرجال "التيرثا نكارا" الثلاثة والعشرين الذين سبقوه كما كانوا يظنون. وكان "لبارشفا" سله المباشر الشخص الثالث والعشرون من بين أولئك الذين يجدون "مخاضة النهر" (وهذا ما تعنيه كلمة تيرثا نكارا). كان له معبد ضخم شيد تكريما له على جبل "باراسنات" حاملا اسمه، ومعابد أخرى في أماكن مختلفة.

⁹⁸ فراس السواح، المصدر السابق، 66/4.

انقسمت الديانة الجانتيية في وقت مبكر من تاريخها حول مسألة ارتداء الملابس، فاتخذت جماعة "الشفيتامبارا" أو اللباس الأبيض " وهم الذين كانوا ليبراليين، موقفاً يقتضي ارتداء وثوب واحد على الأقل، بينما تبني "الديجامبرا" موقف أكثر تشدد وصرامة اكتسبوا اسمه منه، ويقضي بالتجول "وهم يرتدون الهواء" كلما كانت الطقوس الدينية تقتضي ذلك، عندما يكون هناك سبب ديني لذلك. وبما أن "الشفيتامباريون" كانوا يعيشون في الشمال في استكانوا قليلاً لكل من الرياح الباردة والتأثيرات الثقافية والاجتماعية لسهل نهر "الغانج". أما "الديجامبارا" الذين لم ينظر إليهم بعين الريبة من قبل سكان الأراضي الجنوبية من "الدرافيديين"، فقد احتفظوا بسهولة أكبر بالمواقف الأقدم والأصلب على مدى السنين.

يوجد اختلاف آخر يتمثل في حقيقة أنه بينما قبل "الشفيتامباريون" النساء في نظامهم الكهنوتي مفترضين أنهن يملكن فرصة لاختبار "الموكشا"، تمسك "الديجامباريون" بالحكم الشهير الذي أطلقه "ماهافيرا" والقائل "بان النساء" أكبر الإغراءات في العالم، وسبب كل الأفعال الآثمة". ولذلك، فهي ممنوعات من دخول المعابد أو الحياة الكهنوتية. وتصور وجهة النظر الأخيرة النساء بأنهن عاجزات عن تحقيق النجاة والخلاص حتى يولدن في صورة رجال، وهذا هو أملهن الوحيد.

ثم إن هناك فرقة جانبية أخرى، وهي فرقة "الستاناكفاسيس" التي لا تسمح بوجود الأصنام، وليس عندهم معابد فهم يتعبدون في "كل مكان" ولا سيما من خلال التأمل ومراقبة النفس.

على العموم، لم يكن هناك تفريق حاد بين الرهبان "الجانتيين" والناس العاديين، ولا تزال العادة جارية بان يصوم الناس العاديون كما يفعل الرهبان، ولو مرة في السنة، والرهبان أناس عاديون تبنوا ضبطاً للنفس أشد قسوة. ويشارك الناس العاديون في المناسبات المتكررة في التقويم الديني الجانتي. ففي اليوم الأخير من سنتهم، ويصادف نهاية شهر آب، يمتنع الرهبان والأناس العاديون على سبيل المثال، عن كل أنواع الطعام والشراب ويسددون ديونهم، ويخصصون وقتهم لمراجعة أعمالهم السيئة، ويعلنون التوبة عنها، وعن كل الساعات التي أمضوها بشكل خاطئ "أي هدرها" طالبين المغفرة والصفح عن تلك الأخطاء، ويعقب فعل التوبة "باروشانا" الجماعية في اليوم التالي فترة من الفرح والابتهاج. انه عيد رأس السنة الجديدة عن "الجانتيين"، وتحدث احتفالات أخرى في فترات متباعدة أكثر. ففي منطقة ميسور، على سبيل المثال، حيث تقيم أعداد مهمة من "الديجامباريين" يجري في ذهن رأس التمثال المصمت "لجو ما تيسفار" البالغ ارتفاعه سبعة وخمسين قدماً. بدءاً من قمة السقالة الواقعة خلفه، وذلك كل اثني عشرة سنة مرة، ويدهنونه بمخلطة تبلغ كميتها ما يزيد على ألف جرة من الحليب، واللبن الرائب، والصمغ الصندلي وسط صيحات المرح و الهتافات "لجانينا" من قبل الحضور الوقوف الذين يأملون في زيادة حسناتهم من خلال هذا التعبير عن الامتنان.

في غضون ذلك كان للفلسفة "الجانتية" بعض التأثير على الفكر الهندي عموماً، ولا سيما في مجال المنطق، وتمثل هذا التأثير في التصدي لأي توجه لتحميل الأشياء ما لا تحمل. فالمنطق "الجانتية" يعتبر كل أنواع المعرفة بأنها نسبية وعابرة، إذ نستنبط الإجابة على أي سؤال بنعم أو لا في آن معاً. وليس هناك فرضية صحيحة بالمطلق أو خاطئة بالمطلق، "والجانتيون" مغرمون بتوضيحاتهم القديمة بخصوص الخطأ المنطقي الموروث في كل أشكال الفكر الإنساني مثال ذلك حكاية الرجال العميان السنة الذين وضعوا أيديهم على أجزاء مختلفة من جسم الفيل واستنتجوا، كل بما يرضيه. فالذي لمس أذن الفيل قال إنه مروحة، والذي لمس جده قال إنه حبل، وهكذا، إن النفس الحرة المطهرة التي انتقلت إلى جنة "الجانتية"، هي وحدها من يملك المعرفة التامة.⁹⁹

الفرع الثالث: تدوين علوم ماهافيرا

بعد وفاة المؤسس قام الحفاظ والرهبان يعلمون الناس "داود شانك" (التعليمات التي لأهمها ماهافيرا". من محفوظات تم لقرب عهدهم بمرشدتهم، ولكن بعد مرور سبعة قرون، مضى الحفاظ الكاملون ولم يبق فيهم إلا من يحفظ بعض الأجزاء، فلما رأى "كند كند سوامي" هذا الضعف توجه إلى تدوين ما بقي في الحافظة، فدون عدة كتب ثم تلاه تلميذه "أوما سوامي" فصنف كتاباً نال مرتبة التوراة والإنجيل عند الجينيين وهو المعروف إلى يومنا "سوترا" والآن يعتبر هذا الكتاب مصدراً وحيداً لتعليمات "ماهافيرا" (وهذه هي رواية الفرقة الدجاميرية".

أما رواية الفرقة "الشوتاميرية" فكما يقول مصنف كتاب "جين ست سار" إن "ديواردي" جمع نحو من خمسمائة من علماء الجينية في بلدة "بلهي" في سنة 453م أي بعد حوالي عشرة قرون، وأمرهم أن يدونوا ما بقي من حافظتهم في كتاب. فما نرى من الصور العارية في الكتب الدينية، والمراكز الثقافية، والمطارات، والمحطات، والمعابد، والاحتفالات كلها تعبير عن الفرقة الدجاميرية.

الاختلاف بين الفرقتين

– العلاقة الدنيوية

إنه لا تحصل المعرفة الكاملة، والنجاة الدائمة عند الفرقة "الدجاميرية" إلا بان يقطع الإنسان علاقته الدنيوية تماماً. بحيث يجتنب اللباس وستر العورات، لأجل هذا نرى نساك الفرقة "الدجاميرية" يعيشون عراة بخلاف الفرقة "السوتاميرية"، فإنهم لا ينقطعون عن الحوائج الضرورية من اللباس والفرش والعصا وغيرها. فنساك الفرقة "الدجاميرية" يكتفون بثلاثة أشياء، وهي: 1- شاسترا (الكتاب المقدس عندهم). 2- مراح

⁹⁹ فراس السواح. المصدر السابق، 4/73-77.

من ريش الطاووس لكنس الأرض وطهارتها. -وإبريق للاستنجاء. اما نساك الفرقة الشوتامبرية فيرمون على وجوههم ثوبا عند الكلام وفي السفر، بخلاف الفرقة "الدجامبرية" فإن نساكها يجتنبون الشباب كليا. ويأكلون مرة واحدة في اليوم والليل، ولا يستعملون الأواني، بل يضعون الطعام على أيديهم، ثم يأكلونه بخلاف نساك الفرقة "الشوتامبرية" فإنهم يأكلون مرتين في الأواني.

الثاني: الخلاف في حصول النجاة للمرأة: الفرقة "الشوتامبرية" ترى أن المرأة تحصل لها النجاة في قالبها النسائيينما ترى الفرقة "الدجامبرية" أنها لا تحصل لها النجاة، لأن في إبطها جراثيمة صغيرة تموت بحركتها، وكذلك أنها تنجس كل شهر بجيوض، فلا تقدر على المراقبة مع عدم تجنبها من اللباس كليا، فتلزم عليها ولادتها بقالب الرجل في الحياة الثانية وهكذا.

الثالث العارف الكامل: الفرقة "الدجامبرية" تعتقد أن العارف الكامل لا يلحقه الجوع والعطش والمرض في حياة ته الدنيوية خلافا للفرقة "الشوتامبرية".

4المطلب الثاني: فلسفة الجاينية ومبادئها الأخلاقية

الفرع الأول: الكارما

لم يشك الجاينيون مطلقا بالاعتقاد بان تقدم الإنسان نحو النجاة مرهون إلى حد كبير بقانون "الكارما"، بل إن المضامين المتعلقة بهذا القانون قد خيمت على وجهة نظرهم. لقد فسروا عقيدة الكارما بشكل صارم، وبما ينسجم مع فكرتهم القائلة حرفيا إن عواقب أفعال المرء تستوطن النفس، وتثقل عليها، وكأنها آثار مادية. وتتجمع أنواع مختلفة من الكارمات خلال هذه الولادة والولادات السابقة في صورة طبقات من مادة خارجية تغلف النفس، وقد يصل عددها إلى خمسة أغلفة، يجب أن تتآكل مع تقدم عملية الحياة، أو كما علم المتقدمون على "ماهافيرا" استنادا على تعاليم الناسك "بارشفا" إنما كمادة غير منظورة، سامة وغريبة تغلغت في النفس، ويجب طرحها من خلال فعالية النفس.¹⁰⁰

تعتمد فكرة الجاينية هذه على وجهة نظرهم بالعلاقة بين المادة والعقل، فالمادة ومعها المكان والحركة والسكون في جواهر جامدة، وغير حية، وتتراوح في كثافتها من الصلابة إلى أكثر الجواهر رقة، بحيث تكون خارج نطاق الحواس، ففي الحالة الأولى تكون ثقيلة وغلظية، وفي الأخيرة خفيفة وطيارة. المادة الخالدة وتتألف من ذرات يمكن أن يلتحم بعضها مع بعض مكونة أي شكل أو نوعية كالأرض والماء والريح والأصوات والألوان والأجسام ذات الإحساس من كل الأصناف، بما في ذلك أحاسيسها وما تحس به. وأكثر نماذج المادة دقة هو مادة "الكارما"، فهي تشكل في النفس وعليها على النحو التالي:

كلما تحركت النفس برغبة أو عاطفة سيئة، أصبحت لزجة، وتخضع للتغليف بمادة "الكارما"، أو تتغلغل تلك المادة فيها. مثل هذا الالتصاق أو التسرب للمادة يؤثر في مجرى انتقال الروح من جسد إلى آخر (التناسخ) لان النفس تحمل فيها المادة التي تفسد طهارتها في نهاية كل فترة من الوجود، فإذا ما كانت ممتلئة بالمادة، فإنها تغوص في تراتبية الوجود، وربما تهبط إلى الجحيم، أما إذا كانت المادة فيها قليلة، فإنها ستصبح خفيفة بما يكفي لصعودها ربما إلى الجنان والنعيم. وتجد تجسيدا لها هناك في جسم إله ما، أو ترتفع أكثر بعد لتصبح كينونة "متحررة" إلى الأبد.¹⁰¹

ميز الجاينيون أثناء تدقيقهم في طبيعة "الكارما" ثمانية أنواع منها على الأقل (48 فرعا) وذلك تبعا للآثار الناتجة، الأول يحدد ح طول حياة الفرد، والثاني خصائصه الفيزيولوجية والعقلية، والثالث جنسيته وطبقته، والرابع قوة عزيمته، والخامس ذكائه ودرجة معرفته، والسادس بصيرته وحده، والسابع مقدرته على اللذة

¹⁰⁰ فراس السواح، المصدر السابق 66/4.

¹⁰¹ فراس السواح، المرجع نفسه، 67/4.

والألم، والثامن موقفه، سواء أكانت مواقف إيمان أو شك، طهارة أو طمع، وما شابه ذلك. وتقوم هذه الأنواع من "الكارما"، مجتمعة وبشكل إفرادي، بتحديد قيمة المرء من كل وجوه (أو تقمص) وتؤثر في كامل مجرى الحياة.

إن المشكلة الأساسية المطروحة على النفس، وهي تدير أمر التخلص من مادة "الكارما" وطردها منها، تتم أليا في جزء منها، تتم أليا في جزء منها، وذلك من خلال الكارمات الثمانية المذكورة التي تترك أثرها، ثم تتلاشى تدريجيا. لكن النشاط الأخلاقي للنفس يصفى الكارمات بسرعة أكبر، وينتج في الوقت نفسه، لان أي نشاط يخلق كارما جديدة) تلك الكارمات الجديدة التي لها أقل الأثر، وسرعان ما تتبدد أو تتحيد. الحقيقية الرئيسية للحياة التي تبرز من ذلك كله، هو التضاد المتأصل بين النفس والجسد، والعقل والمادة، كان "ماهافيرا" وأتباعه من القائلين بالتعددية، إلا أنهم جمعوا الأشياء كلها تقريبا بشكل تقريبي في صنفين متميزين:

– الأحيافا

أو الأشياء الميتة التي لا حياة لها في العالم، ولا سيما في مملكة المادة الغليظة الميتة. والأحيافا أو الكائنات الحية في العالم والتي تحدد بدقة أكبر على أنها الكثرة اللامتناهية من النفوس الفردية المكونة لمملكة الروح (أو الجوهر الحي) الأحيافا خالدة إلا أنها شر، أما الجيفا فهي خالدة أيضا وذات قيمة غير محددة وتحتوي كل الخير، لأن النفوس ثمينة بلا حدود ولا تبيد.

تصنف النفوس وفقا لعدد الحواس التي تمتلكها، المجموعة الأعلى منها في تلك التي تمتلك الحواس الخمس – الآلة، والناس، والحيوانات، وكائنات الجحيم. تليها الكائنات ذات الحواس الأربع كالحشرات الكبيرة مثل النحل والذباب والفراشات على سبيل المثال. المجموعة الثالثة هي ذات الحواس الثلاث ذات الحاستين الاثنتين، اللمس والذوق، وتضم الديدان والقواقع والعلق والمخلوقات الدقيقة. المجموعة الأخيرة في ذات حاسة وحيدة هي اللمس وغالبا ما يرد ذكرها في كتابات الجانتيين، وتضم الخضروات والأشجار والبذور وحناء قريش والأجسام الريحية، والأجسام المائية، والأجسام النارية.

عندما تتحرر النفوس من المادة بالكامل، وتكون في حالتها النقية، فإنها تصبح في حالة الكمال حيث تمتلك فهما لا محدودا، وعلما لا محدودا، وقوة لا محدودة، وبركة لا محدودة، وعندما تتحرر، تشق طريقها صعودا إلى قمة العالم (الذي يعتقد أن له شكلا إنسانيا)، وتتجه لتستريح في (الإساتبراغهارا) أو في الرأس.

وبالمناسبة النفوس التي تدخل (الإساتبراغهارا) لا تتحول إلى لا شيء (أو العدم)، إذ مع انه يمكن وصفها بأنها بلا صفات أو علاقات من أي نوع، إلا انه ليس هناك من توقف للوعي فيها ، يقول النص الجانتي: "

المتحرر ليس طويلا ولا قصيرا، ولا ثقيلًا ولا خفيفًا، انه بدون جسم، وبلا قيامة، وبدون اتصال بالمادة، إنه ليس مؤنثًا ولا مذكرًا ولا خنثى، إنه يدرك، ويعلم، لكن ليس هناك من مشابجة نعرف بها طبيعة النفس المحررة." 102

وحيث أنها لا تبعد، ومستقلة بشكل مطلق، فليست أطوارًا من شيء آخر، ولا هي فيوضات ترمى خارجًا من قبل شيء آخر.

لقد اعتقد الجانيون منذ البداية أن ليس هناك من برهمن-أتمان كالذي وصفه البراهمة. وحتى إذا ما كان الجوهر ممسكًا بالعالم، وجامعًا له، فليس هناك من حاكم أعلى للعالم كذلك الذي يتطلع إليه المتدين المخلص. توجد كائنات علوية يمكن تسميتها "بالآلهة" وهي موجودة على مستويات متنوعة من المناطق السماوية، إلا أنها كائنات محدودة خاضعة كالإنسان لولادة ثانية، لا يمكن توقع أية مساعدة من مثل هذه الكائنات، ووفقًا لماهافيرا، لأنها هي نفسها بحاجة إلى من يفديها ويخلصها، لذلك يجب على النفوس البشرية المأسورة والغريقة في العالم المادي وتحتج لإيجاد طريقة للنجاة من الكارما عبر "الموكشا" أو التحرر يجب أن تدرك أن الخلاص يتحقق بعمل ذاتي، والصلاة للآلهة هي بلا طائل، يقول ماهافيرا: "يجب ألا يقول الراهب أو الراهبة إله السماء، إله الصاعقة، إله البرق، الإله يبدأ المطر... قد يهطل المطر وقد لا يهطل، نأمل أن تنمو المحاصيل، نأمل أن تشرق الشمس، يجب ألا يستخدموا مثل هذا الخطاب، لكن، وبما انه يعرف طبيعة الأشياء، عليه القول، الهواء غيمة قد تجمعت أو نزلت، الغيمة قد أمطرت." 103

كذلك، ليس هنالك من طائل وراء الالتفات إلى الناس الآخرين، ولا إلى كلمات الآخرين والاعتقاد بأنها تملك فاعلية ذاتية في عملية الإنقاذ. وليس للكهنة من سلطة خاصة، لا تملك نصوص "الفيدا" قدسية خاصة، ولا يمكن استخدامها كوسائط للتحرر من الولادة الثانية، وبدل من الوثوق بهذه الوسائل الخارجية، دع الإنسان يدرك أن النجاة والخلاص كامنان داخل نفسه. وتجري إحدى أكثر أقوال "ماهافيرا" حسما قائلة: "أيها الإنسان، أنت صديق نفسك، لماذا ترغب بصديق خارج ذاتك؟" 104

إن أسرع طريقة وأكثرها وثوقًا للوصول إلى حالة التحرر أو "الموكشا" هي ممارسة الزهد أو أعمال التهجد وشظف العيش. المعنى الذي قصده "ماهافيرا" بالزهد يمكن تبنيه من شكل ممارسته له هو نفسه. وقد أضاف أتباعه الصوم إلى هذه الممارسة مصحوبًا بقواعد خاصة للتأمل الباطني الذي يؤدي إلى حالة من الغيبوبة الوجدانية المتميزة بانسلاخ كامل عن المحيط الخارجي. وسمو فوق حالات الوجود المادي للمريء.

102 فراس السواح، المصدر السابق، 69/4.

103 فراس السواح، المرجع نفسه، 69/4-70.

104 فراس السواح، المرجع نفسه، 70/4.

ومن المفترض أن حالة الغيبوبة الوجدانية هذه تشبه الحالة التي دخل فيها "ماهافيرا" في السنة الثالثة عشرة من سعيه، وهي التي أكدت له تحرره النهائي، ويعتقد الجانتيون أن المرء لا يستطيع الوصول إلى هذه الحالة دون سيطرة قاسية على العقل و الرغبات، لأنه لا يمكن السيطرة على الأفعال، ولا يمكنه منع الكارمات تبعاً لذلك من أن تأخذ مجراها في التجميع ما لم يتم ضبط العقل بحيث يتطهر من كل أشكال الحب للدنيا أو الاعتماد عليها وعلى أدواتها الحية وغير الحية.

وكانت الممارسة النسكية لماهافيرا (ومن المحتمل أنها لم تكن ممارسته هو نفسه) قد تلخصت ب"أشكال القسم العظيمة المخصصة للرهبان، وقد تم تجويز هذه الأشكال للقسم كاملة فيما بعد. وفيها نجد بعضاً من التعريفات المهمة لما كان "ماهافيرا" يعنيه "بالأهيمسا" والانشقاق عن كل ارتباط بالعالم وبأغراضه، "وأهيمسا" هي موضوع القسم الأول:

- القسم العظيم الأول

ياسيدي يجري على التالي: "أنا أتبرا من كل قتل للكائنات الحية، متحركة كانت أم ثابتة. لن أقدم على قتل كائنات حية، ولا أتسبب بقيام الآخرين بفعل ذلك، ولا أوافق عليها."

- القسم الثاني يعني بقول الصدق

"أتبرا من جميع رذائل القول الكاذب الناجم عن الغضب أو الجشع أو الخوف أو الفرح والحبور، أنا نفسي، ولا أتسبب بدفع الآخرين إلى ذلك، ولا أوافق على قول الكذب من قبل الآخرين."

- القسم الثالث

"أتبرا من أخذ أي شيء لم يقدم أو يمنح، سواء في قرية أم في بلدة أو غابة، كثيراً كان ذلك أو قليلاً، عظيماً أو ضئيلاً، أشياء حية كانت أم بلا حياة، أنا لن أقوم بأخذ ذلك بنفسني، ولا ادفع الآخرين، إلى ذلك، ولا أوافق على قيامهم بأخذ ما لا يعطى إليهم."

- القسم الرابع

"أتبرا من كل أشكال اللذة الجنسية، لن أسمح بالخضوع للشهوة، ولا ادفع الآخرين إلى فعل ذلك، ولا أوافق على وجودها عند الآخرين."

- القسم الخامس

"أتبرأ من التعلق والارتباط بكافة أشكاله، سواء أكان بأشياء قليلة أو كثيرة، صغيرة أو عظيمة، أشياء حية أو بلا حياة، ولن أقوم أنا نفسي بتكوين مثل هذه الارتباطات، ولن ادفع الآخرين إليها، ولا أوافقهم على تكوينها".¹⁰⁵

كان واضحاً منذ البداية، أن الأنواع الخمسة العظيمة للقسم يمكن أن تكون خاصة بالنسك الجانبيين فقط، أما بالنسبة لعامة الناس الذين يرون في طريقة الحياة الموصوفة في النظام المتشدد شيئاً مستحيلاً، فإن قادة الجانئية قد وضعوا لهم نظاماً معدلاً كثيراً يسرون عليه في حياتهم، وكان على المنتسبين من العامة أداء اثني عشر قسماً:

- عدم قتل أي مخلوق حي عن سابق تصميم ومعرفة (ولذلك يجب ألا يحرث تربة، ولا يشارك في ذبح الحيوانات وبيعها، ولا يصطاد السمك، ولا يخمر شيئاً، ولا يقوم بأي مهنة تشتمل على إزهاق روح.

- ألا يكذب أبداً.

- ألا يسرق أبداً أو يأخذ شيئاً لم يعط له.

- ألا يكون داعراً أبداً.

- أن يتخلى عن الجشع وذلك بوضع حدود لثروته وان يهب الفائض منها.

- أن يتجنب إغراءات كل ما يعرضه للغواية، كأن يمتنع عن السفر غير الضروري.

- التقليل من أشياء الاستعمال اليومي.

- الاحتراس من الشرور التي يمكن تجنبها.

- المحافظة على فترات محددة للتأمل.

- الالتزام بفترات خاصة لإنكار الذات.

- قضاء أيام المناسبات بصفة راهب.

- إعطاء الصدقات ولا سيما دعماً للنسك.

¹⁰⁵ فراس السواح، المصدر السابق، 71/4-72.

القسم الأول من هذه المجموعة هو بلا شك أكثرها أهمية من جهة تأثيره الاجتماعي إنه يشكل تحديدا، بدا وكأنه خطيرا جدا بالنسبة لأتباع "ماهافيرا" الأوائل، ولكنه برهن، بعد مرور فترة طويلة، على انه ذو قيمة اقتصادية ودينية، لأنه تبين للجائنين أنهم يستطيعون تحقيق أرباح أكثر عندما تحولوا عن مهن تتضمن أذى مباشر لمخلوقات حية إلى مهن خاصة بالأعمال (وهي بالمصطلحات الأخرى لعقيدتهم والتي تحرم القمار وأكل اللحم وشرب الخمر، والزنا والصيد والسرقة والخلاعة، فقد أكسبتهم احتراماً اجتماعياً مما ساهم في صمودهم في المشهد الاجتماعي".¹⁰⁶

الفرع الثاني: العقائد الرئيسية عند الجائنين

- إن الدنيا ثمرات الروح والمادة، وليس لها خالق ومدبر خارج عنها.
- إن العلاقة التي نجدها بين الروح والمادة هي نتيجة "الكارما" لان "الكارما" تعيد الروح إلى الدنيا مرة بعد مرة.
- لا تتلخص الروح من العودة إلا بالإيمان الصحيح، والعلم الصحيح، والعمل الصحيح، ويسمى هذا الخلاص "المكتي" أي النجاة.
- الروح الناجية هي "برماتما"، وقد تعود بعد النجاة إلى الدنيا، لإضاءة السبل للسائرين، فالواجب على الإنسان أن يجتهد في تخليص روحه من العودة.
- الدنيا مركز الأرواح، ومستقر لها، وتسلسل الأرواح في الدنيا غير منقطع.
- "أههنا برمودهرما" أي أفضل الدين ترك الإيذاء.
- يجب على الراهب الجيني أن يختار حياة "برما جاريا" يعني البعد عن المرأة والتطبيب والتزين..
- السيطرة التامة على الحواس الخمسة ، لأنها هي التي تجعل الإنسان يعيش حياة شهوة ورغبة في الدنيا ، و بالتالي لا يحصل له "النرفانا".¹⁰⁷

الفرع الثالث: الألوهية

¹⁰⁶ فراس السواح، المصدر السابق، 73/4-74.

¹⁰⁷ محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص 666.

إذا فكرنا في العقيدة الأولى نجد أن الجينيين لا يعتقدون بوجود خالق الكون ومدبره، بل يعتقدون أن الدنيا نتيجة للعلاقات التي كانت بين الروح والمادة، فهي قديمة قدم الروح والمادة، لأنها لم تكن معدومة فأوجدها موحد، بل كانت موجودة من الأزل بشكل آخر، فتشكلت بهذا الشكل لأجل العلاقة الجديدة. وعلى هذا الأساس يقول بعض العلماء: "إن الجينية هي رد الفعل للبراهمة."¹⁰⁸

ولكن الجينيين ينكرون هذا ويقولون: "نحن لا ننكر وجود الخالق، بل ننكر صفته الخالقة والمدبرة، لان وجوده ليس خارجا عن الدنيا"¹⁰⁹

يقول العالم الجيني "بي آر كين": "إن الجينيين لا يعتقدون بمعبود أزلي قديم، موجود في كل زمان ومكان، عالم بكل صغير وكبير، قادر على كل شيء، وخالق الكون والحياة، بل يعتقدون بالأرواح الناجية التي خلصت من العودة، وحصلت على "النرفانا" فبلغت درجة الإله"¹¹⁰

ويفهم من هذا أن عدد آلهة الجينيين كعدد الأرواح الناجية، ولذا نرى أن الجينيين يعبدون "تير شنكر" الأرواح الناجية، بقولهم "أنا اسجد أمام "تير شنكر" الذي هو معبود، وهو الذي يمنح المخلوقات الأمن والراحة، ياليت لو حصلت على "النرفانا" بمحض التفاته وكرمه"¹¹¹

الفرع الرابع: عبادة الأصنام في الجاننية

إن المبتدئين الذين بدأوا حياتهم الرهبانية مثل الطبقة الخامسة لا يقدرّون على استقرار الفكر، ودوام الذكر، والمراقبة، لعدم تمكنهم من تركيز القلوب على تصور المعبود، فاحتاج هؤلاء إلى إله ظاهر، فلما عرف علماء الجاننية مشكلتهم أذنوا لهم في نحت الأصنام التي تحمل الأوصاف المطلوبة فتوجهت كل فرقة إلى نحت معبودها وفق اعتقادها.

فالفرقة "الدجامرية" مثلا نتت معبوداتها عراة لتصور تخليهم عن الضروريات الدنيوية بخلاف الفرقة "الشوتامرية" هذه هي بداية عبادة الأصنام في الديانات الهندية، لأننا لا نجد ذكر الأصنام وباء المعابد في تعليمات "الفيدا" و"بوذا" فكلا المذهبين تأثرا بالجينية.

¹⁰⁸ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 667.

¹⁰⁹ نفس المكان.

¹¹⁰ نفس المكان.

¹¹¹ نفس المكان.

أما الآن فقد صارت عبادة الأصمان عن الجينين من الأمور الضرورية المستحسنة، فإن علماءهم يتأسفون على الأجيال الجديدة التي تركت عبادة الأصنام، ويوجهون نقدهم إلى الإسلام، لأنه هو الذي حرم بناء الأصنام، وعبادتها أول مرة في تاريخ الديانات الهندية.¹¹²

الفرع الخامس: طبقات الرجال عند الجينيين

الجينيون يقسمون رجالهم إلى خمس طبقات:

الطبقة الأولى أرهت

هي الأرواح الناجية التي حصلت لها علم كامل، ومعرفة تامة، فوصلت إلى درجة المعبود في الحياة الدنيا قبل موتها الطبيعي، وهم أربعة وعشرون كما سبق ذكرهم.

الطبقة الثانية سدها

الأرواح التي نجت من تكرار العودة غلى الدنيا، ووصلت إلى مقام النجاة بعد موتها الطبيعي وهم أيضا أربعة وعشرون.

الطبقة الثالثة آجاريا

هو رئيس الرهبان وقرب إلى النجاة. الطبقة الرابعة أباديا: هو الراهب المرشد في البلاد، ويكون تابعا ل" آجاريا".

الطبقة الخامسة سادو

هو الراهب والناسك العادي الذي ابتداء بحياته الجينية.¹¹³

¹¹² محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 669.

¹¹³ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 668.

المطلب الثالث: أثر الجينية على الهندوسية

لقد تأثرت الهندوسية بالجينية في كثير من تشريعاتها وعقائدها، وذلك يرجع إلى عدم وجود العقائد الرئيسية، كما بينت سابقا، واذكر هنا بعض العقائد والطقوس التي أخذتها الهندوسية والبوذية من الجانتيية، وهي:

الفرع الأول: عبادة الأصنام وبناء المعابد

إن الهندوسيين ما كانوا يعرفون عبادة الأصنام وبناء المعابد في عصور "الفيديات" وكذلك البوذيون بل أخذوا ذلك من الجينيين حذوا بحذو.

الفرع الثاني: أهنسا

إن تعليمان "الفيديات" تصرح بذبح الخيل والجاموس والبقر، فجاء الجينيون وحرموا ذبح الحيوانات وقتل الجراثيم التي تطير في الهواء.

الفرع الثالث: مسالة التناسخ أو جولان الروح

لقد أثبتنا قبل هذا أن "الفيديا" صرح بوجود الجنة والنار، فجاء الجينون، وأثروا على الهندوسية والبوذية فاستصعب على هؤلاء الخروج من عقيدة التناسخ.

الفرع الرابع: الرهبانية

لقد تقدم البحث في أعمار الإنسان في الهندوسية فالقسمان الأولان يتعلقان بالحياة الرهبانية. أما الجينية فتحت على ترك العلاقات الدنيوية، والتمسك بالحياة الرهبانية، فتأثر بها النساك والبوذيون، وتركوا العلائق الدنيوية، واحتراروا الحياة الرهبانية.

الفرع الخامس: العرى

لا نجد فكرة العرى في الهندوسية والبوذية، ولا شك أنها جاءت من الجينية، وأخذها النساك الهندوسيون والبوذيون. والآن هم الذين يحتفلون كل سنة، ويتجولون في الشوارع عراة. ولكن الحكومة الهندية منعهم عن ذلك في القرى والمدن، وبعد احتاجهم الشديد سمحت لهم أن يحتفلوا في الصحارى والغابات.

المبحث الثالث

البوذية

تمهيد

ظهرت البوذية في الهند كرد فعل ضد الهندوسية، ومحاولة لإصلاح الوضع الديني في الهند. وفي القرن الذي ظهر فيه بوذا كانت الهندوسية في تطورها قد تمخض عنها ثلاثة مواقف دينية سيطرت على الحياة الدينية وجوهر الدين وبخاصة مع سيادة فكرة ربط خلق العالم وإدارته بنتائج تقديم القرابين وتأدية الطقوس. أما الموقف الثاني فهو الذي عبرت عنه نصوص الأوبانيشاد، والذي تمخض فيما عرف بالبراهمانية التي تقوم على أساس من أن النفس الإنسانية لها واقع ثابت لا يتغير مرتبطة بواقع خارجي لا يتغير هو البراهما أو روح الكون. وإن النفس (الأتمان) تسعى إلى الإتحاد بالبراهما من خلال التخلص من علائقها المادية، وبالإضافة إلى هذين الموقفين كان هناك موقف فلسفي شككي أنكر أصحابه الآراء السابقة، وأنكروا إمكانية المعرفة، وأنكروا السببية الطبيعية والأخلاقية، وكل هذه المواقف لم توفق في علاج مشكلة المعاناة وقهرها حيث اقتزن المذهب الأول المخلص بالطقوس والأضحيات بالسحر وفساد الكهنة. بينما اتصف المذهب الثاني بالتحريد الفلسفي، وبالاعتقاد في الطبيعة غير المتغيرة للواقع، هذه في الوقت الذي لم يقدم فيه المذهب الشككي علاجاً، لأنه يقوم على إنكار الاحتمالات في المذهبين السابقين.

وقد اتصف الفكر الديني البوذي ببعض صفات الفكر الديني الهندي، وهذا أمر طبيعي لارتباط البوذية بالهندوسية، وظهورها على الأرض الهندية كحركة إصلاح للهندوسية. ولذلك، فالبوذية لا تختلف في جوهرها عن الهندوسية، إنما هي مجرد تفسير جديد لقضية الشقاء الإنساني، وتصور جديد لكيفية القضاء على المعاناة الإنسانية اختلفت فيه البوذية بخروجها على بعض التصورات الهندوسية.

ولكن تميزت عنها في عدة أمور من أهمها أنها أعطت للإنسان قدراً من حرية الاختيار، لم يكن موجوداً في الهندوسية. كما رفضت نظام الطبقات الجائرة. وعلى مستوى الطقوس والشعائر رفضت البوذية التركيز الهندوسي على الطقوس والأضحيات.

وبالرغم من كل ذلك، فالبوذية تعتبر ثورة داخلية داخل الديانة الهندوسية، قبل أن تصبح ديانة مستقلة مع الزمن.¹¹⁴

¹¹⁴ محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان، ص 77-78.3

المطلب الأول: المؤسس

استنادا إلى المأثور الهندي، كان الوقت في زمن "كالي يوغا" آخر الأزمنة الكونية الكبرى، الزمن الذي لم يبق فيه من دروس الاستقامة إلا ربعها، وحيث الأمراض والانتفاضات والمجاعات والخيبات وغيرها من المآسي تشكل جزءا من الحياة اليومية، أي باختصار الزمن البعيد عن العصر الذهبي، هذه الويلات أخذت تظهر مند عصر "المهاباراتا" التي انعكست فيها أصداء ذلك، بصورة ضمنية حوالي الألف الثالث قبل المسيح، واستمر ذلك ما استمر الجهل والظلمات، حيث لم يكن للبشرية هدف، وليس عندها معارف روحية تمكنها من الخروج من هذا المستنقع. ذلك هو على الأقل الشعور الذي عبرت عنه الكتب المقدسة في الهند.

وال تأثيرات هذا الانحطاط كانت مرئية في حدود القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد، وكان باحثون عن الحقيقة يجوبون طرق الهند سعيا وراء جواب عن تساؤلاتهم الوجودية.¹¹⁵

في هذا الجو ظهر الرجل الذي سيكتب تاريخ العالم الشرقي القديم، وهو بوذا.

واسمه الحقيقي "سدهارتا" وقد اختلف المؤرخون في وجوده وزمن وجوده، لان تعليماته لم تدون إلا بعد أن مضى عليها ثلاثة قرون في زمن الملك "أشوكا" الذي تولى العرش سنة 273 ق م.

تقول الأسطورة أن رئيس الملائكة نظر إلى من علو، وقد امتلأت بالشور والآثام والبؤس البشري، وعجت بالآلهة والشياطين، ومن اجل إنقاذهم جميعا أرسل، على شكل ثور صغير "ظله الأرضي" إلى صدر الملكة "مايا" زوجة ملك "الساياس" "صود هودانو". فشعرت بشعور غريب، وهاجس داخلي لم تعد باستطاعتها أن تفرق بين الخيال والواقع. لقد أحست وكان غيمة تحملها إلى السموات إلى قصر مسحور، وأخيرا رأتبأم عينيها الفيل الصغير ذا القوائم الستة، والجلد الإلهي، وهو يمد إصبعه إلى خاصرتها دون أن تشعر بأي ألم.

هكذا ولج "رئيس الملائكة" للمرة الأخيرة ظله الأرضي، (بوذا المستقبل) في جسد امرأة كانت سابقا أمه لخمسمائة مرة.

بعد عشرة أشهر من الحمل ولدته أمه في مزرعة، تبعد قليلا عن العاصمة. بينما كان هناك مطر من الزهر والورد يتساقط من السماء، والموسيقى تصدح في آذان الجميع، يتردد صداها في أرجاء الطبيعة الخلافة التي

¹¹⁵كلود، ب، لفسنون، البوذية، ص 35-36.

استيقظت فيها الخلائق مفعمة بالنشاط والحيور. هوذا الطفل الصغير يخرج من خاصرة أمه اليمنى دون
قدارة أودنس، وقلبه الصغير مليء بالعلوم والحكمة وذكرى وجوداته الماضية.¹¹⁶

نفض واقفا وسط زهرة اللوتس البيضاء التي ولدته أمه عليها، ونظر الطفل الوليد الفضاء "بنظرات أسد" ثم
مشى سبع خطوات في الاتجاهات الأصلية، وتكلم قائلا: "أسير في الطبقات العليا للعالم، سأضع نهاية
للولادة، والشيوخوخة، والمرض، والموت، سأكون الأعلى في الكائنات. أنا بكر العالم... إن ولادتي هذه هي
الأخيرة، ولن يكن هنالك بعد من وجود آخر لي."¹¹⁷

ومن الأساطير التي أحيطت ببوذا، قيل أنه لما بلغ أشده خرج ذات يوم من قصره، فرأى شيخا
هرما، وخرجيوما ثانيا فرأى رجلا مريضا، وخرج يوما ثالثا فرأى ميتا على جنازة، فسأل محافظه عن الهرم
وسببه، وعن المرض وسببه، وعن الموت وسببه، ولما أخبره بان كل مولود مصيره الهرم والمرض ثم الموت، كره
بوذا هذه الدنيا، والبقاء فيها، وخرج ليلا من قصره يطلب النجاة من الهرم والمرض والموت إلى الصحارى
والغابات.¹¹⁸

فزهّد في الحياة، وقرر البدء بالبحث عن الحياة الكاملة، فسلك أسلوب الزهد الصارم، بتعذيب الجسم في
الحر والبرد، والحرمان من الطعان ست سنوات، يتنقل من غابة إلى غابة، حتى اضمحل جسمه، ولم يصل إلى
مطلبه، فقرر الرجوع لمملكته ليبدأ من جديد حياة رغبة.

ويقال: إنه كان على هذه الحالة من القنوط واليأس، فتوقف في ظل "شجرة تين"، ودار حولها سبع مرات
وحياها، ثم أدار وجهه صوب الغرب بعد أن اتخذ وضعية زهرة "اللوتس" وجلس، وهو يحدث نفسه قائلا:
" إلى أن يجف جلدي، وتذبل يدي، وتذوي عظامي، لن أغادر هذا المكان حتى أحصل على "المعرفة" التي
ابحث عنها."¹¹⁹

وبالفعل أشرفت عليه "المعرفة" وتنورت الدنيا كلها أمامه، وكشفت له ظلمات البرد والبحر، وظهرت له حقيقية
الموت والحياة. فبدأ ينشط من جديد، وألزم نفسه أن يبقى راهبا، ويعيش راهبا، ويدعو الناس إلى دينه، ويموت

¹¹⁶ موريس بيرشيرون، بوذا والبوذية، ترجمة: فاروق الحميد، سوريا: دار الفرق، ط2017، ص34-37.

¹¹⁷ موريس بيرشيرون، المرجع نفسه، ص37.

¹¹⁸ محمد الأعظمي، مصدر سابق، ص130-131.

¹¹⁹ موريس بيرشيرون. المرجع السابق، ص43.

على ذلك. وقال لتلاميذه الخمسة: " أنا القديس الكامل، البوذا الأعلى، افتحوا آذانكم أيها النساك، فقد وجدت الطريق، استمعوا لي."¹²⁰

وكان هذا آخر دروسه. "ولما عرف "آنندا" تلميذه الوفي قرب موته، بدأ يبكي، فقال له بوذا: " وإن كل من صار لنفسه-يا آنند- مصباحا يهدي، وكل من صار لنفسه ملاذا يؤوي، سواء في حياتي أو بعد مماتي، فلن يلتمس لنفسه من غير نفسه مأوى. ويتمسك بالحق مصباحا، فلا يطلب من غير نفسه ملاذا، أمثال هؤلاء هم الذين سيبلغون أعلى الذرى، لكن ينبغي أن يكون بهم شغف بالمعرفة."¹²¹

¹²⁰ موريس بيرشرون. المصدر السابق، ص 47.

¹²¹ محمد الأعظمي، مصدر سابق، 132-133.

المطلب الثاني: تطور البوذية

كان من المتوقع أن يثير غياب بوذا الجسدي نقاشات حامية أحيانا، بين أتباعه من المؤمنين، أسباب ذلك كثيرة، حيث إن السانغا (الجماعة البوذية) لم تنج من ظاهرات ملازمة للوجود البشري كأشكال الحسد و الدنئات وكل الخصومات الأخرى. كما أن الصراع على السلطة قد تأجج بعد رحيله، ولم يكن أحد من تلامذته يتمتع بإهلية اللازمة ليفرض نفسه بسهولة، في المقابل لم يكن بوذا قد عين خليفة له، مع أن العديد من المقرين له كان في إمكانهم الزعم أن لهم حقا في الوراثة. من ناحية أخرى، كانت الجماعة البوذية مركبة من مجموعات صغيرة مشتتة ومبعثرة أو على الأقل مترحلة كالبدو لا تتجمع بأعداد كبيرة إلا في فصل الأمطار. فضلا عن ذلك، كانت العقيدة قد انتشرت على نطاق واسع في صفوف فئات متنوعة من السكان الأصليين (غير المترحلين) الذين صارت ممارسة الشريعة عندهم مندرجة أكثر فأكثر في النصوص، وفي روح النص، وإلى ضرورة البحث عما يثبت ما قاله "النبية" حقا.

بعد أن اجتاز "النبية" المجرى وبلغ الضفة الأخرى، لم يبق أمام المؤمنين من أجل الالتحاق به إلا إتباع الشريعة كما بشر بها وعلمها لتلامذته، أما رسالته الوحيدة، إن كان هناك من رسالة إلى تلامذته الحزاني فهي: "ليكن كل واحد منكم مشعلا لذاته" "اجتياز المجرى" و "بلوغ الضفة الأخرى" هما عبارتان أساسيتان في البوذية تعنيان بلوغ النرفانا، ليس المقصود بذلك لا الفناء ولا العدم ولا الانحلال، لا ولا الجنة على طريقة الديانات التوحيدية.¹²²

وقد ظلت البوذية محصورة لفترة طويلة بأوساط النخبة من "الكشاتريا" والبرهمية الذين استطاعوا متابعة التعاليم الصعبة العسيرة الفهم.

ولم يكن هناك طقوس أو شعائر على الرغم من بعض التماس مع السحر، وتقدير الشعب القديم لآلهته إن الحد الذي لا يمكن تجاوزه كان في التلاوة الثلاثية اليومية لصيغة "الحليات الثلاث" وهي تأكيد التلاميذ على الوفاء لهذه الحليات (المعلم، النظرية، جماعة التلاميذ)

"سألوذ بالبوذا"

سألوذ بالدرهارما"

سألوذ بالسنگها"¹²³

¹²²كلود، ب، لفسون، البوذية، ص 61-63.

¹²³موريس بيرشيرون، بوذا والبوذية، ص 134.

ودخلت البوذية في حالة اضطراب وبلبله حين فقدت رأسها وقلبها، فقد كان بوذا طيلة حياته البوذة المرجعية، وحوله كان يلتحق اقرب تلامذته ممن كانوا يرافقونه، غير أن الجماعة لم تكن منتظمة ولا العقيدة مكتملة البنيان، ذلك، أن العملية كانت تجري على ارض هندية، حيث لم تكن غريزة التجمع علامة فارقة.¹²⁴

ثم إن محاولة وضع نظام ما لهذا الكم الغزير يتطلب بسرعة تدوين التعليمات المبعثرة التي كان بوذا قد نطق بها، استجابة لمناسبات لحظات وللذين يخاطبهم أيضا. كان من شأن انضمام متحدرين كثر من البراهمانية ومن الطبقات العليا إلى العقيدة الجديدة إحداث تعديلات بطيئة على نمط حياة الجماعة، حيث أخذت تبرز قليل مشاعر ارسقراطية خاصة بالنسك والباحثين عن الحقيقية خارج أية معايير، فقد اقترح "ماهاكاشيابا" أن يعقد جمعية لحوالي 500 تلميذ، من المستوى الرفيع حسب التعبير المعاصر، في منطقة "راجاغريها" لتدوين كلام النواة التي انتظم حولها كتاب الشريعة الأقدم المحفوظ بصيغته الأصلية عمليا في آسيا الجنوبية.

غير أن هذا المناخ الرحب و الديمقراطي إلى حد بعيد، المنفتح على الجميع، حيث يتواجد الرهبان و العلمانيون معا، وبصورة طبيعية قد أخلى الساحة سريعا لصرامة أنظمة أخذت تحتل موقعها في العادات و التقاليد محدثة قطعة بين الجماعة النسكية والعالم الدنيوي، وبدأت تتضح معالم مدارس عدة ما برحت تتفرع وتتباعد مع تباعد الأتباع والسبل المعتمدة في الزمان والمكان عن المصادر الأولى. هذه الرحلة الطويلة جدا انطلقت طبعاً من الأراضي المجاورة.

بعد قرن من الزمان انعقد المجمع الديني البوذي الثاني في "فايشالي" حيث دقق الطرفان الأساسيان في حسابتهما حول العقيدة وشؤون التنظيم، أدلى ذلك إلى انكسار حقيقي، إلى انشقاق، حيث أخذت تنمو في البداية عقيدة "القدامي" كما يسمونها، عقيدة "ثيراقادا" أو "العربة الصغرى" التي ما زالت منذ ذلك الحين، وحتى اليوم حية من غير انقطاع، ولا سيما في جزيرة سيلان وشبه الجزيرة الهندية الصينية.

أما الفرع الآخر الذي لم يكن في حينه (القرن الثالث قبل الميلاد) إلا برعما صغيرا غامضا، فقد بزغ على منعطف الألفية في مدرسة "ماهايانا" أو "المركبة الكبرى". وشهد بعدها إندفاعا كبيرة منتشرا في آسيا الوسطى، وعلى طريق الحرير عبر الأراضي الصينية، إلى الهيمالايا، ليستقر في أعالي هضاب التبت.

في الوقت الذي كانت فيه الشريعة الجديدة تطبع بطابعها، أكثر فأكثر، المناطق التي تنتشر فيها، كان يتعاقب ملوك وحروب وإمارات في العالم الدنيوي، وفي ظل حكم "أشوكا" انعقد المجمع الديني الثالث في

¹²⁴كلود، ب، لفسنون، البوذية، ص63.

"باتاليوترا" ووضعوا الصيغة النهائية لشرية بالي الهندية القديمة "أو المقصورات الثلاث" تحت اسم "قينايا" أو النظام النسكي. وكذلك حرروا نص "السوترا" أو "كلام بوذا"، والعقيدة البوذية. وقد أعطى الإمبراطور دفعا أكيدا وحاسما للشرية الجديدة طالبا نشر مفاهيمها الشديدة التأثير بفضل طابعها السلمي والمسلم، في أربعة أرجاء المملكة.

كانت بداية الألفية قبل المسيح تعج بالأفكار والنقاشات، لكن القليل منها عشر عليه خارج النقوش الحجرية، وصولا إلى حكم سلالة جديدة هي "سلالة الكوشانا" التي اشتهرت بحكم "كانيشكا".

في حين كانت تتجذر "مدرسة القدامى" في سيلان، وفي الأراضي الهندية، راحتيان كبيران يؤسسان مدرسة "ماهايانا" و"يوغاشرا" من أصول التيار الأول المسمى "ناجارجوننا" و"أرياديقا" من أصول التيار الأول المسمى بـ "ممر الوسط" الذي شكل أساس التقاليد القادمة من الصين واليابان إلى التبت.¹²⁵

أما "أسانجا" و"قازوبهاندا" فيمثلان "مدرسة المعرفة" المستندة إلى ممارسة اليوغا أو إلى التأمل. ولم تكن العلاقات بين هذين التيارين دوما على أحسن ما يرام، ولم يمنع ذلك، من أن يتحول كل منهما إلى حجر الزاوية في التطور الفلسفي من بين المذاهب الأكثر خصوبة في البوذية.

على خلاف تيار "تيراقادا" الميال إلى حالة "أرهات" أي إلى إطفاء العواطف داخل النفس، وكل صنوف التعلق أو الرغبة في الحياة لبولغانترفانا بعد الموت، كان أنصار مهايانا غير راضيين أبدا عن هذا المثال الأعلى الأناني، لأنه لا يخص إلا الفرد. وكانوا ينظرون إلى ابعده من ذلك، ويتطلعون إلى أن "ينبهوا" أنفسهم من أجل مساعدة سواهم على سلوك هذا الطريق.¹²⁶

ثم من بعد ما إن تم تدوين العقيدة، بدأت البوذية في الانتشار السلمي السريع نسبيا، وكان لكل بلد تاريخه الخاص بدخول الشريعة الجديدة إلى أراضيه، جزيرة سيلان فتحها "أشوكا". وفي بورما كان الفضل لتجارين عاشا في القرن الثالث ق.م، جلب معهما من السفر بعض شعرات من شعر بوذا.

ودخلت إلى الصين قبل عامين قبل الميلاد، في البداية كنسخة عن الطاوية، وأحرزت نجاحات مع مرور الأيام، وحصلت حركة ترجمة مكثفة للنصوص في القرن العاشر، حين أخذت المدارس طابعها الصيني فعلا.

أما إيسلاندا فقد نصبت التماثيل الأولى لبوذا في القرن الثالث الميلادي، وانتشرت العقيدة في سومطرة. ثم شقت طريقها إلى الهيمالايا منذ القرن السابع بعد الميلاد، بدعوة من ملكها.

¹²⁵كلود، ب، لفسنون، المصدر السابق، ص66.

¹²⁶كلود، ب، لفسنون، المرجع نفسه، ص66.

بالتوازي مع هذا التوسع على معظم أجزاء القارة الآسيوية كانت الديانة البوذية، تنقرض، للمفارقة، على
ارض منشئها، وعادت الهندوسية إلى الواجهة، في حين راحت البوذية تستعير منها كثيرا من الملامح ،
وتدرجها خلسة في بنيتها كالابن الضال.¹²⁷

¹²⁷كلود، ب، لفنسون، المصدر السابق، ص 67-70.

المطلب الثالث: الكتابات المقدسة

ليس لدينا من وثيقة مؤكدة تعود على زمن بوذا تجيز لنا تحديد قانون بشكله البدائي. مع هذا ، لا بد من وجود لهذا القانون، لأن "أشوكا" في كتاباته على صخور "بارهوت" ذكر ما يجب على النساك والكهنة معرفته وفعله وتلاوته.

بلا أدنى شك كانت التعاليم حتى القرن الثاني سمعية، على الرغم من النصوص التي كانت قد دوت باللغة "الماغاها".

لقد اختلف أكثر الكتابات التي كتبها "الماعانيون" باللغة السنسكريتية وظلت الترجمات الصينية والتبتية قابلة للنقاش، وقد نوقشت طويلا إننا لا نستطيع أن نتعرف حقا على البوذية، خاصة تلك التي ظهرت في العصور الأولى، سوى عن طريق المسلات الثلاث "السنغالية".¹²⁸

في القرن الأول ق م كتب النساك السنغاليون هذه النصوص باللغة البالية لغة العلماء وهي السنسكريتية بعيدة عن لغة العوام.

الفرع الأول: المجالس البوذية الأربعة وانقسام البوذيين

المجلس الأول

انعقد المجلس الأول فوراً بعد وفاة "بوذا" وأمر تلميذه المشهور "آنند" أن يجمع معتقدات "بوذا" كما أمر غيره بتدوين نظام الحياة للربان.

المجلس الثاني

انعقد المجلس الثاني بعد مائة سنة من وفاة "بوذا" وكان الغرض الأساسي لهذا المجلس تنقية تعليمات "بوذا" من الطقوس والرسومات التي سيطرت على البوذيين.

المجلس الثالث

انعقد هذا المجلس في حدود سنة 224 ق.م في عهد الملك "أشوكا" وكان الغرض منه إزالة الاختلافات التي وقعت بين البوذيين في كثير من المسائل، وبعد انتهاء المجلس أرسل الدعاة والمبلغين في أرجاء الهند وخارجها.

¹²⁸ موريس بيرشيرون، بوذا والبوذية، ص 147.

المجلس الرابع

انعقد ها المجلس في نهاية القرن الأول الميلادي في عهد الملك " كنشك " وكان الغرض لهذا المجلس تفسير تعليمات " بوذا " تفسيراً بعيداً عن التأويلات.¹²⁹

الفرع الثاني : الفرق البوذية

هناك الكثير من المدارس البوذية أشهرها ثلاثة مدارس وهي: وعلى هذه المجالس الأربعة، انقسمت البوذية إلى فرق كثيرة، أشهرها:

1-الهينايانا

وتعني "العربة الصغيرة" التي تختلط على الرغم من اختلافها مع "نيرافادا" وتعني "نظرية القدماء" والتي تنتشر في سيلان، وتايلاند، وبعض أجزاء من الهند.

تنكر هذه الفرقة وجود الله تعالى والروح والإلهام، كما تؤمن بناسوتية "بوذا" وأنه إنسان عاش ومات مثل الآخرين. إلا انه حصل له صفات عالية، وصل بها إلى مرتبة "القديس" واستحق أن يلقب بـ "آجاريا منش".

واتخذت هذه الفرقة قول "بوذا": "لا تطلب من غير نفسك ملاذا" قاعدة أساسية لحصول "النرفانا".

هذه الفرقة تعتمد على قرارات المجلس الثالث. وكتب هذه الفرقة كتبت باللغة "البالية" وأشهرها "تري بتاكا" (وهي مجموعة من ثلاثة كتب، وقد تأخر تدوين هذه الكتب أربعة قرون تقريباً بعد "بوذا".¹³⁰ trepitak)

2-المهايانا

وتعني "العربة الكبيرة" والتي تضم بين دفتيها التبت وجنوب منغوليا، وقسماً من الصين واليابان والفيتنام وكوريا.

ويقصدون بها أن من انضم إلى عقيدة هذه الفرقة، وركب على العربة الكبيرة مع جماعة "البهكشو" يحصل على "النرفانا" وتؤمن هذه الفرقة بان "بوذا" ليس له جسم، بل إنه نور مجسم، وظل ظهر في الدنيا وهو الإله الأكبر، الإله الأزلي، وهذه الفرقة غرقت في بحور الشرك، فاتخذت من كل راهب إلهاً من دون الله

¹²⁹ الأعظمي، مصدر سابق، ص652.

¹³⁰ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص653.

واخترعت كثيرا من الرسوم والطقوس، وتفلسفت في العبادات وطريق النجاة.
والغالب أنها تأسست في عهد الملك "كنشك" ووضعت ضوابطها في المجلس الرابع.

ومن أشهر كتبها المقدسة "ديموندا سوترا" (diamond sutra)

وأكثر كتب هذه الفرقة كتبت باللغة السنسكريتية والصينية والتبتية واليابانية.¹³¹

3- الفاجرايانا

وهي شكل متأخر للبوذية التقشفية "ناجمة عن "المهايانا" والتي تجد مناصريها في مقاطعة الهيمالايا، والتبت، والنيبال، وبنوتان. وقسم من الصين، وشمال الهند، كما نجد أصداؤها تتردد في منغوليا، واليابان...¹³²

ومهما يكمن من أمر، ومهما تعددت مفاهيمهم حول الممارسة المختلفة لمعتقداتهم، فإنهم يتفقون على تعليم أساسي يعود الجميع إليه، وهي "الحقائق النبيلة الأربع"، وإن كان هناك اختلاف كثير في التفسير والتعبير،

ولكن ما تعني تلك الحقائق؟.

باختصار هي نظرية "البوذا" التي تهدف إلى خلاص الإنسان من الألم الذي يتولد حياة بعد حياة.

الحقيقية الأولى وجود الحزن

يقول بوذا: "الولادة حزن، والكهولة حزن، والمرض حزن، والموت حزن، وعدم الوصول إلى المحبوب حزن."¹³³

الحقيقية الثانية أسباب وجود الحزن

يقول بوذا: "هي الأمنية الكاذبة، والشهوات المهلكة، التي تؤدي إلى الولادة من جديد."¹³⁴

الحقيقية الثالثة في القضاء على الآم والأحزان

¹³¹ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 653-654.

¹³² أكرافيه كورنيت ودوسان سير، الحكيم بوذا، ترجمة: فاروق الحميد، سوريا: دار الفرد، ط2017، ص 49-50.

¹³³ محمد الأعظمي، المرجع السابق، ص 134.

¹³⁴ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص 135.

يقول بوذا: " هي إماتة الشهوات والرغبات، واجتناب عن الحاجات الزائدة، والسعي في قطع العلاقات الدنيوية، واختيار العزلة التامة."¹³⁵

الحقيقة الرابعة الأعمال التي تساعد على القضاء على الآلام والأحزان

وهي ثمانية طرق: 1- الاعتقاد الصحيح: ويقصدون به الاعتقاد بالحقائق الأربع المذكورة. 2- النية الصالحة: ويقصدون بها نفي الذات والسعي في إفادة الخلق. 3- القول السديد: ويقصدون به ترك ما لا يعنيه، والاشتغال بما يفيد. 4- الفعل الحسن: ويقصدون به التذكر بالأجسام المركبة من أجزاء نجسة. 5- الكسب الصحيح: وهو القدر الكافي من القوت اليوم، ولكن حياتهم الواقعية تعتمد على التسول. 6- السعي المشكور: ويقصدون به القيام بالأعمال النافعة. 7- الذكرى الصالحة: ويقصدون بها ذكر بوذا وأحواله وسيرته. 8- المراقبة الصحيحة: ويقصدون بها مراقبة بوذا، وتذكره وإحضاره في القلب، وتركيز العينين على تمثاله.¹³⁶

وبناء على هذا رتبوا الأصول العشرة المعروفة عند الرهبان، وهي: " تحريم قتل النفس، وتحريم السرقة، وتحريم الكذب، وتحريم شرب الخمر، وتحريم الأكل بعد الظهر، وتحريم الرقص والموسيقى، وتحريم التطيب، وتحريم الجلوس في الشارع والمكان المرتفع، وتحريم قبول الهدايا من الذهب والفضة."¹³⁷

ومن تعليمات بوذا: " إنه لا يقر بوجود الطبقات الموجودة في الهندوسية، بل سوى بين الناس جميعا، وإن التفريق العنصري الذي دعا إليه الهندوس ليس هو الأساس، بل الأساس في التفريق صلاحية الفرد وعمه، وأعماله في الحياة الماضية، ويضيف إلى هذا بان النجاح قد تحصل لفرد من أدنى البقات إذا سلك طريق العشق والمحبة و المراقبة."¹³⁸

إذن فقد أعلن "بوذا" منذ البداية أنه هناك إمكانية للخلاص من الألم وذلك عن طريق التحرر من الرغبات والارتباط بها.

¹³⁵ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 135

¹³⁶ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص 137.

¹³⁷ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص 138.

¹³⁸ نفس المكان.

هناك دواء من أجل هذا، وهو الكفاح ضد الجهل، وذلك بمعرفة وفهم مجموعة العوامل التي تولد الألم، يقول بوذا "الجهل سبب خراب العالم، والحسد الأنانية يفسدان الصداقة، أما الصبر فهو أمضى سلاح، ولكنه لا يجرح".¹³⁹

إذا كانت النتيجة "الألم" ناتجة عن أسباب نحن صنعناها، يجب إذن العمل على الأسباب، وذلك من أجل تغيير نتائجها، إن الحل يبدو سهلاً: كي لا نتألم مجدداً، يجب أن نلغي الرغبات. ولهذا فإن أي تطرف لا مكان له في هذه الحالة، يقول بوذا: "خمسة أشياء تسبب المرض وهي: التخممة في الأكل، كثرة النوم، إتباع الملاذ، الفكر الدائب، المشاغل الدنيوية، فروض نفسك على الكفاف من كل شيء، تشف من المرض".¹⁴⁰ إذن يجب إقامة التوازن بين الأشياء، وهو ما نسميه "الطريق الوسط".

لقد نوه "بوذا" إلى "الفكر" قبل علم النفس الحديث الذي نشهده الآن، وأشار إلى أن الفكر هو الذي يخلق العاطفة التي تحدد بدورها السلوك، والذي يقوم بدوره بتعزيز الفكر الأولى، هذه هي ظاهرة الصيرورة التي تتشكل بها قناعاتنا، ولهذا، فقد اعتبر "البوذا" أن العنصر الجوهرية في كل شيء هو الفكر، يقول: "نحن ما نفكر به، إن كل ما نحن عليه هو نتيجة لفكرنا، وبفكرنا هذا نبني عالمنا".¹⁴¹

تبدو هذه الكلمات، وكأنها أخذت من كتاب معاصر في علم النفس الحديث، لا غرابة فهو "البوذا" بكل بساطة.

وفي كتاب "الدهامابادا" جاء فيه: "إن الفكر ما يحدد كل شيء، ومنهياًتي كل شيء. فإذا ما تكلمنا، أو تصرفنا بشكل سيء سيأتي الألم حاملاً عصاه يجردنا وراءه عربة الأحزان. أما إذا تكلمنا، وسلكننا بفكر مثالي واع، فسندرى السادة تسير معنا كالظل الذي يرافق الرجل في تجواله".¹⁴²

لقد أضافت الفلسفة البوذية إلى الحواس الخمس التي نعرفها (النظر، السمع، الشم، التذوق، اللمس) حاسة سادسة وهي التفكير.

¹³⁹ أكرافيه كورنيت ودوسان سير، الحكيم بوذا، ص51.

¹⁴⁰ أكرافيه كورنيت ودوسان سير، المرجع نفسه، ص52.

¹⁴¹ أكرافيه كورنيت ودوسان سير، المرجع نفسه، ص53.

¹⁴² نفس المكان.

المطلب الرابع: البوذية والدين

سؤال حير العلماء قديما وحديثا هل البوذية دين أم فلسفة؟. وقد انقسموا في ذلك إلى فريقين:

1-الفريق الأول

يرى هذه الفريق أن البوذية هي مجرد فلسفة أو محاولة للبحث عن السعادة، يقول أكزافييه كورنيت ودوسان سير" من وجهة نظري (وتلك وجهة نظري فحسب) أرى أن "البوذية" فلسفة تشكل فيها الرؤية إلى العالم حالة من إمكانية فهمه والتعامل معه." ¹⁴³

ولقد تكلم "دالاي لاما" عن الديانات "اللا إلهية" والتي تقع البوذية" ضمنها قائلا: "هنا لا نجد إلهاً أو خالقاً، أو كلي القدرة، في النهاية نحن هم الذين يخلقون." ¹⁴⁴

يقول "بميكشو إي" "إن تعاليم "البوذا" ليست ديانة، ولكنها طريقة عملية للعيش" ¹⁴⁵

ويعتبرها الفيزيائي الأمريكي "فريجتوف كابر" مجرد علم نفسي يبحث عن سعادة الإنسان، يقول " إذا كان أسلوب "الهندوسية" لاهوتيا ويتضمن الكثير من العبادات، فإن "البوذية" تلتحق في علم النفس مباشرة، فهي لا تهتم بتحقيق الفضول البشري حول أصل العالم، وطبيعة الألوهية. أو أسئلة كهذه مباشرة. بل ما يشغلها هو الوضع البشري بكل آلامه وقهره، إنها ليست نظرية ميتافيزيقية، ولكنها نظرية في الأمراض النفسية، إذ تشير بإصبع الاتهام إلى أصل الإضطهاد البشري، والطريقة التي نستطيع معها أن نقضي عليه. كل ذلك، وهي تتبنى مفاهيم "هندية" تقليدية بإضفاء تحاليل نفسية جديدة ديناميكية مباشرة عليها." ¹⁴⁶

يقول مولانا أبو المكارم آزاد الذي كان وزيرا للمعارف بالهند: "بيد ولي أن وضع بوذا في صفوف الفلاسفة أسهل من وضعه في صف الأنبياء، وذلك لأنه لم يتعرض في مباحثه لوجود الله، بل حاول حل مسألة الحياة، وانتهى منها دون التحرش بالله وبوجوده. إنه قد قطع كل علاقة له مع الحياة الدينية في الهند التي كانت تدين بألهة وإلهات لا تعد ولا تحصى. إنه بدأ بحثه وفرغ منه دون أن يلجأ إلى الاعتقاد بالله، وإنما لأساسالديني عليه بحثه، أساس فلسفي، فقال إن هدف الإنسان يجب أن يكون الوصول إلى حل مسألة الحياة، وذلك من المستطاع دون الاستعانة بوجود فوق العقل، أجل، أسرعاً تبعه بعد

¹⁴³ كزافييه كورنيت ودوسان سير، المصدر السابق، ص72.

¹⁴⁴ كزافييه كورنيت ودوسان سير، المرجع نفسه. ص71.

¹⁴⁵ موريس بيرشيرون. بوذا والبوذية، ص73.

¹⁴⁶ كزافييه كورنيت ودوسان سير، المرجع السابق. ص74.

وفاته إلى تحويل تعاليمه إلى مذهب ديني، ولما وجدوا انه ترك المكان الذي يحتله الله في الأديان فازعوا، عمدوا إلى بوذا، فحملوه ووضعوه فوق عرش الإله الفارغ، إلا أن بوذا ليس بمسئول عما فعله أتباعه.¹⁴⁷

أدلتهم

قالوا إن "بوذا" لا يؤمن بالإله الخالق، وينقل عنه أن "راهبين من الهندوس جاءا إلى بوذا، وهما يريدان الحلول "برهما" فوقع بينهما خصومة شديدة في تعيين الطريق فتحاكما إلى بوذا."

فقال بوذا "هل تعرفان مسكن برهما؟"

قالا: لا .

قال بوذا: هل رأيتما برهما؟.

قالا: لا .

قال بوذا: هل تعرفان طبيعة برهما؟.

قالا: لا .

قال بوذا: هل ترضيان أن تتحدا بالشمس؟.

قالا: لا، لأنها بعيدة عنا وهي محرقة.

قال بوذا: إذا لم يكمن لكما أن تتحدا بالشمس وهي مخلوقة، فكيف بخالقها؟.

ثم قال لهما: هل برهما حاسد ومتكبرا؟.

قالا: لا .

قال بوذا: وهل يوجد فيكم الحسد والكبر والبغض؟.

قالا: لا .

قال بوذا: إذا كيف يمكن لكما أن تتحدا برهما وطبيعتكما تختلف عن طبيعته؟.¹⁴⁸

¹⁴⁷ احمد شلبي، مصدر سابق. ص166.

¹⁴⁸ محمد الأعظمي، مصدر سابق، ص648-649.

الدليل الثاني

مرة حصل بين بوذا وبين عالم هندوسي "واششتا"، فقال بوذا: هل رأيت "برهما" بعينك؟ بل هل من أسلافك أحد رآه بعينه؟ فسكت العالم الهندوسي.¹⁴⁹

الدليل الثالث

يقول بوذا لتلاميذه: "وها آنذا الآن أحرم عليكم أيها الزهاد السحر والتعازيم والابتهاال إلى أية قوة، لأن كل هذه باطل، فاحرصوا على أنفسكم، ولا تأخذكم كبرياء أو ادعاء."¹⁵⁰

الدليل الرابع

لم يوص بوذا تلميذه البار "آنندا" بالإيمان بالله، وإنما أوصاه أن يتخذ من نفسه ملاذا: "كونوا منارات أنفسكم، ملاجئ أنفسكم، أسياد أنفسكم."¹⁵¹

الدليل الخامس

قالوا أيضا إن بوذا لم يذكر وجود الله في الحقائق المقدسة.¹⁵²

الدليل السادس

يقول بوذا: "إن المشايخ الذين يتكلمون عن الله، وهملم يروه وجهها لوجه، كالعاشق الذي يدوب كمدا، وهو لا يعرف من هي حبيبته، أو كالذي يبني السلم وهو لا يدري أين يوجد القصر، أو كالذي يريد أن يعبر نхра، فينادي الشاطئ الآخر ليقدم له"¹⁵³.

قالوا إن هناك إجماع بين العلماء المتقدمين على ان بوذا كان ينكر الألوهية وهؤلاء هم: "تان سين" سنة 150 قم. و"ناجا أرجن" سنة 175 م، و"آسك" سنة 360 م، و"بيويند" سنة 400 م، و"دجناج" سنة 420 م، و"شانت" سنة 750 م، و"شاكيا شري بدر" سنة 1200 م وغيرهم.¹⁵⁴

¹⁴⁹ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 649.

¹⁵⁰ كزافييه كورنيت ودوسان سير، الحكيم بوذا. ص 69.

¹⁵¹ كزافييه كورنيت ودوسان سير، المرجع نفسه. ص 76.

¹⁵² محمد الأعظمي، المرجع السابق، ص 648.

¹⁵³ أحمد شلي، مصدر سابق، ص 162.

¹⁵⁴ محمد الأعظمي، المرجع السابق، ص 648.

إن ما يميز "البوذية" عن الديانات الأخرى هو أنها لم تطرح "نموذجاً" يحتذي به، فهي ليست بناء دينياً مسلماً به، إنها تقترح وتحرض، ولكنها لا تقدم تركيبة ولا "حقيقية" أو أن تطرح نفسها بهذه الصورة. صحيح أنه هناك "الحقائق الأربع"، ولكن هذه الحقائق لا تؤخذ "كحقيقية" لدين، إذ إنه ليس هناك من حقيقية، أو مطلق.

في البوذية " لكل واحد الحرية الكاملة بالتصرف كما يريد، إذ أن "البوذا" نفسه عارض كل تأليه في شخصه، ومن هنا نجد أنه ليس هناك أي شكل من أشكال القمع أو الاضطهاد في تاريخ "البوذية" إن التسامح يقع في قلب تعاليمها.

لكل ديانة إله "هو المركز الذي تدور حوله إلا "البوذية" فهي بلا إله، فمن كون حياتنا هذه؟. فإذا كان هو "ايشفارا" الخالق، وصناع الأشياء، فلم لا تخضع جميعها بصمت لقوة الصانع صاغرة، كما يخضع الإناء الخزفي لسيد الخزاف؟.

وإذا كان العالم من صنع "ايشفارا"، وجب ألا يكون فيه حزن وبلاء وخطيئة؟.

فهذه الأسئلة هي إدانة سيئة "للبوذية" طالما أنها لم تتحول إلى ديانة إلا لكي تستجيب للحاجة السامية في أذهان معتنقيها، وهذه الأقوال يؤكد ها بعض الأقوال التي نقلت عن "بوذا" كقوله: "علينا ألا نؤمن بما بين أيدينا من معتقدات، لأنها جاءتنا من العصور القديمة، أو من السلطات الروحية التي يتمتع بها الأساتذة الكبار، ولكن يترتب علينا فقط أن نطبق ما هو مكتوب في الكتاب، حينئذ يكون الفهم الصحيح الذي نحصل عليه من تجربتنا الخاصة في الحكم بيننا."¹⁵⁵

ولذلك، ما زال هنا من ما زال ينظر إلى "البوذية" على أنها فلسفة، لم تتحول إلى دين.

2- الفريق الثاني

يرى هذا الفريق أن البوذية ديانة مثلها مثل بقية الأديان العقديّة الأخرى، يقول "مونك جي": "إن البوذية ديانة ديمقراطية، وربما ستصبح ذات يوم ديانة عالمية، لأنكم تجدون فيها المساواة بين جميع البشر"¹⁵⁶

¹⁵⁵ كزافييه كورنيت ودوسان سير، الحكيم بوذا. ص71.

¹⁵⁶ موريس بيرشيرون. بوذا والبوذية، ص73.

على اختلاف بينهم في أصلها الأول، فهناك فريق يقول إن بداياتها الأولى كانت مجرد فلسفة حياة، درست وطبقت، وتناقلها الزاهدون المؤمنون بها. ولكنها في القرن الثاني بعد الميلاد أصبحت ديانة خالصة، وذلك بعد سبعة قرون تقريبا من ظهورها كمثل "الطاوية".

هكذا ظهرت مختلف صور للألوهية، وظهر معها مجمع للأرباب بكل احتفالاته وطقوسه وكنائسه "وقدسيه، ومعجزاته، مثله مثل كل الديانات، ما عدا "الحرب المقدسة" والشهداء الذين ضحوا بحياتهم من أجل انتصارها.

وقالوا النقل والعقل.

النقل

فقد جاء لفظ (إيشور) معناه (إله) في كتاب "أنكر نكاي" وفي كتاب "منجم نكاي". ويجب المنكرون على هذا بأن مفهوم الإله بدون صفات هو فكر مجرد لا يفني بالعرض المنشود، فإن بوذا لا يصفه بوصف يجعله موجودا.

العقل

إن البوذيين لا يعتقدون اعتقاد البراهمة في ألوهية "برهما" (الخالق) بل يفضلون بدونه من دون الله وهو مخلوق مثلهم.

— إن بوذا قد أغار على "برهما"، ولم يحترم تعاليم "الفيدا"، فاتهمه الهندوس بالإلحاد. وأشاعوا هذا القول في المجتمع الهندي ففسقوه وكفروه، حتى صارت البوذية غريبة في وطنها ومسقط رأسها.

— كيف يتصور أن تكون التعاليم البوذية خالية من مسائل ما بعد الطبيعة، مع أنها غرقت في بحر الشرك وظلمات البدعة وجعلت "بوذا" مقام الإله الأكبر. فظل البوذيون يعبدونه من دون الله.

أما العقل فلا يتصور دين بدون الإقرار بالرب، لأنه أساس مشترك بين جميع الأديان، ولهذا يتحاشى المنكرون أن يسموا البوذية دينا.¹⁵⁷

3- الفريق الثالث

بوذا ليس نبيا لأنه لم يدعو إلى الله، وليس بفيلسوف لأن شروط الفلاسفة غير متوافرة فيه، ولكنه رجل روحاني تجريبي، يقول العلامة "رادها كرشنن" الذي كان رئيس الجمهورية الهندية سنة 1952م: "إن بوذا

¹⁵⁷ الأعظمي، مصدر سابق، ص 649-650.

لا يقرر العقائد، ولا يؤسس مذاهب فلسفية، ولا يزعم انه جاء إلى الأرض بحكمة خصوصية ملكها من الأزل، بل يعلم بكل جلاء أنه كسب هذه الحكمة بجهود جبارة فيما سبق له من الحياة على الأرض دهورا وأحقابا بتعدد المواليد، وهو يرشد أتباعه إلى نظام يضمن الرقي الأخلاقي، ولا يدعوهم إلى دين كسائر الأديان، إنه يرى أتباعه سيلا، ولا يقرر عقيدة، لأنه يرى أن قبول عقيدة يصد عن البحث وراء الحق، فكثيرا ما ترفض الحقائق لأنها تخالف عقيدة تمسك بها الذين جاءت لهم هذه الحقائق.¹⁵⁸

أدله

قول بوذا: "إن الحق لا يعرف بالنظريات، بل يعرف بالسير المتواصل في طريقه."¹⁵⁹

ويقول أيضا: "إن عملي ملكي، وعملي ميراثي، وعملي هو الرحم الذي يحملني، وعملي هو الجنس الذي أنتمي إليه، وعملي هو الملجأ الذي ألتجئ به."¹⁶⁰

¹⁵⁸ أحمد شلبي، مصدر سابق، ص161.

¹⁵⁹ أحمد شلبي، المرجع نفسه، ص166.

¹⁶⁰ نفس المكان.

المطلب الخامس: عقائد البوذية

الفرع الأول: النرفانا

النرفانا في البوذية هي أسمى ما يطمح إليه البوذي، والذي يكرس حياته إلى تحقيقه، وإن كان بوذا قد وصل إلى هذه الدرجة من الإشراق الروحي العالي، وانجملت له أسرار الكون بواسطته، فالبوذي عليه أن يسلك طريق "معلمه" للوصول إلى ما وصل إليه، وتجنب تكرار المولد المؤلم. يصف بوذا هذا الإشراق بقوله: "كلمني سوت من داخلي قائلاً: إن الهوى هو أصل الحزن، والنفس هي التي تجلب الشقاء، وذلك أن المرء يقول دائماً: أنا أنا، ويقول أيضاً: زوجتي وأولادي، فهم أيضاً نوع من أنا، أما من سواهم فليسوا أنا.¹⁶¹

قال بوذا "للصوت: إن قبلت قولك فهل أنال الحرية؟".

فأجاب الصوت: نعم نعم، أنه يجلب لك الحرية أيها الناسك.¹⁶²

ولكن ما هي النرفانا يقول العلامة (رادها كرشنن): " إن بوذا رفض أن يشرح النرفانا، وعلى هذا لا يجدي نفعا أن نحاول فهمها، بل ربما كانت اللغات البشرية لا تستطيع شرح النرفانا.¹⁶³

وقال "أيها المريدون، هي طور لا ارض فيه ولا ماء، لا نور فيه ولا هواء، لا فيه مكان غير متناه، ولا عقل غير متناه، ليس فيه خلاء مطلق، ولا ارتفاع الإدراك واللاإدراك معاً، ليس هو هذا العالم، وذاك العالم، لا فيه شمس ولا بوقوف، لا يموت ولا يولد، هي من غير أساس، من غير مرور، من غير انقطاع، ذلك نهاية الحزن.¹⁶⁴

ويبدو أن النرفانا مرت بمراحل تاريخية، فقد كان مفهوماً عند بوذا أول الأمر أنها الاندماج في الله والفناء فيه، ولكن أفكار بوذا تغيرت بالنسبة للتفكير في الله، فقد تخلى عن القول بان هناك إلهاً، بل أنكر وجود الإله بعد ذلك. وبناء على ذلك لم تعد "النرفانا" بمعنى الاندماج في الله، بل اتخذت لها معنى جديداً أو قل أحد معنيين متلاحقين هما:

- وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه، والقضاء على جميع رغباته المادية.

¹⁶¹ أحمد شلي، المصدر السابق، ص 153.

¹⁶² نفس المكان.

¹⁶³ أحمد شلي، المرجع نفسه. ص 155.

¹⁶⁴ أحمد شلي، المرجع نفسه. ص 154.

- انقاد الإنسان نفسه من ربة الكارما، ومن تكرار المولد، بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر.

وبناء على المعنى الأول يصل الإنسان إلى النرفانا وهو حي، وبناء على المعنى الثاني ترتبط النرفانا بالموت و بالتخلص من هذه الحياة على ألا يعود لها.¹⁶⁵

أي هي فكرة إلحادية بشكل واضح يفترض اختفاء بلا عودة للحياة الفردية والكونية معا، إنه العدم في نهاية الأمر.¹⁶⁶

عرف "كومارا سوامي" النرفانا: "نهاية عمل أو كماله"¹⁶⁷

"إنها ليست مكانا ولا فعلا، إنما ليست في الزمان، ولا يمكن الحصول عليها بأية وسيلة مع هذه فهي "كائنة" ويمكن رؤيتها بطريقة ما"¹⁶⁸

الفرع الثاني: تناسخ الأرواح

يؤمن البوذيون بتناسخ الأرواح، قال بوذا: "أيها الرهبان، هذه هي الحقيقية المقدسة عن الألم: المولد الألم، الهرم ألم، المرض ألم، الموت ألم، الاجتماع بغير المؤلف ألم، الافتراق عن المؤلف ألم، عدم ظفر الرجل بما يهوى ألم.

أيها الرهبان، هذه هي الحقيقية المقدسة عن مصدر الألم، الظمأ، والشهوة، والهوى، والرغبة في التلذذ، وفي التكون، في القوة، ذلك الهوى، وتلك الشهوة تجر من مولد إلى مولد، ومن ألم إلى ألم."¹⁶⁹

ويقول: "إن البشر أيها النسك، مسؤولون عن أعمالهم، فهم يقومون بأفعال مع أرحامهم، ولآبائهم، وهذه الأعمال ستعود عليهم بالذات. هناك مصيران لهما إما الجحيم (نيرايا) المؤلم إلى أقصى درجة، وإما إلى رحم حيوان يمشي باعوجاج (الأفعى، العقرب، أم الأربعين، النمس، القط، الفار، البومة... (أو كل حيوان آخر يظل حذرا بوجود الإنسان..."¹⁷⁰

¹⁶⁵ أحمد شلي، المصدر السابق. 155.

¹⁶⁶ موريس بيرشيرون، بوذا والبوذية، ص 104.

¹⁶⁷ وريس بيرشيرون. المرجع نفسه، ص 106.

¹⁶⁸ نفس المكان.

¹⁶⁹ أحمد شلي، المرجع السابق، ص 156.

¹⁷⁰ موريس بير شيرون، المرجع السابق، ص 108.

ويسوق بوذا سلسلة قضايا تؤدي إلى هذه الحقيقية وهي أن أصل الهوى أصل الألم، يقول: " إذا وجدت الشهوة والهوى وجد التحديد والتخصيص، وإذا وجد التحديد والتخصيص وجد الجهل، وإذا وجد الجهل وجد الخطأ. وإذا وجد الخطأ وجد الحزن، فالحزن نتيجة للهوى والشهوات."¹⁷¹

يقول: " أيها الرهبان هذه هي الحقيقية المقدسة عن إعدام الألم: إعدام الشهوة والهوى والظماً والرغبة إعداماً تاماً.

أيها الرهبان، هذه هي الحقيقية المقدسة عن سبيل إعدام الألم: سلوك الطريق المثمن (ذي الثماني شعب): الاعتقاد الصحيح، العزم الصحيح، القول الصحيح، العمل الصحيح، العيش الصحيح، الجهد الصحيح، الفكر الصحيح، التأمل الصحيح."¹⁷²

ومن الممكن تحطيم هذه القيود لمن يؤمن الحقائق الأربعة، ويعمل في ضوء هديها، وتتحكم هذه القيود شيئاً فشيئاً على درجات أربع:

1- فمجرد الإيمان بالحقائق الأربعة يحطم القيود الثلاثة الأولى، لأن الإيمان بما هو إتباع لأفكار بوذا، وذلك يستلزم عدم الشك فيه، وعدم الاعتقاد في الطقوس والتقاليد الدينية الهندوكية وغيرها، وإتباع بوذا في فكرته عن التناسخ، وأن الإنسان حلقة في سلسلة متتابعة وليس له وجود مستقل.

2- وعندما يؤمن الإنسان بالحقيقة الثانية وهي أن علة الألم هي الرغبات والشهوات تخف حدة الشهوة والكراهية والغرور في نفسه.¹⁷³

3- فإذا اتبع الحقيقة الثالثة، وتأكد انه لا بد للقضاء على الألم من القضاء على الشهوة تحطمت قيود الشهوة والكراهية والغرور تحطيماً نهائياً.

4- فإذا اتبع الحقيقة الرابعة، واتبع الشعب الثماني، وتخلق بما تخدمت باقي القيود العشرة، وبذلك يصل الإنسان إلى الهدف الأسمى الذي يطلبه وهو النرفانا.¹⁷⁴

الوصايا العشر التي تنسب إلى بوذا:

1- يجب ألا تقضي على حياة.

¹⁷¹ أحمد شلي، مصدر سابق، ص 156.

¹⁷² نفس المكان.

¹⁷³ أحمد شلي، المرجع نفسه، ص 158-159.

¹⁷⁴ نفس المكان.

- 2- يجب ألا تأخذ ما يعطي إليك.
- 3- يجب ألا تقول ما هو غير صحيح.
- 4- يجب ألا تستعمل شرابا مسكرا.
- 5- يجب ألا تباشر علاقة جنسية محرمة.
- 6- يجب ألا تأكل في الليل طعاما نضج في غير أوانه.
- 7- يجب ألا تكلم راسك بالزهور وألا تستعمل العطور.
- 8- يجب ألا تقتنى المقاعد والمساند الفخمة.
- 9- يجب ألا تحضر حفلة رقص أو غناء.
- 10- يجب ألا تقتني ذهبا أو فضة.¹⁷⁵

¹⁷⁵أحمد شليبي، المصدر السابق، ص160.

المطلب السادس: العبادة في البوذية

الفرع الاول: خصائص العبادة البوذية

يقول وايرل ديوانت عن موقف بوذا من الإله والعبادة: "وقد يتحول هذا القديس أحيانا، الذي هو أشهر من عرف الدهر من قديسي الهندوس، قد يتحول من الأدرية إلى إلحاد صريح، إنه لا ينحرف عن جادته لينكر وجود الله، بل إنه بعد حين يذكر براهما كأنه حقيقية واقعة أكثر منه مثلاً أعلى. ثم هو لا يحرم عبادة الآلة الشائعة بين الناس، ولكنه يسخر من فكرة إرسال الدعوات إلى "المجهول" وفي ذلك يقول: "إنه لمن الحمق أن تظن أن سواك يستطيع أن يكون سببا في سعادتك أو شقائك لأن السعادة والشقاء دائما نتيجة سلوكنا نحن وشهواتنا نحن."¹⁷⁶

ربما يعود الفضل في غرس بذرة العبادة البوذية إلى "أناندا" التلميذ الذي أحب المعلم، بوذا، لم ينقل عنه انه حث على العبادة، أو أمر بها، أو بين شرعها. إنه ترك فلسفته تجريدية، أو روحانية بلا عبادة.

وظهرت العبادات والطقوس على يد فرقة "الماهايانية" حيث عبدت بوذا.¹⁷⁷

وصورة العبادة البوذية أهما لا تركز على الحركات بل على عبادة الذكر- الإكثار من الحمد والثناء على "بوذا" لكمال وجماله على حد زعمهم. والتلذذ بذكره وتصوره في الخلوة والمجتمع، والدعاء بصيرورة نفسه مثله في الحياة الثانية. وتذكر "بوذا" وتصوره في أعلى مراتب العبادة عند الرهبان البوذيين.

وقد أدت هذه العقيدة إلى تعظيم الرهبان وعبادتهم، وفي اعتقاد البوذيين أن النجاة لا تحصل بمطالعة الكتب والتدبر فيها، بل لا بد من الأخذ عن الراهب الكامل الذي بلغ درجة "بوذا" في الكمال.

وفي المرحلة الثانية يقوم هذا العابد مقام المعبود، والمعتقد مقام المعتقد، والمخلوق مقام الخالق، فلم يبق بينه وبين خالقه أدنى فرق، ومن هنا يدعي الألوهية لنفسه.

الترانيم البوذية

اسجد لبوذا الإله الكامل، الذي انكشف له العالم.

اسجد لبوذا الإله الكامل، الذي انكشف له العالم.

اسجد لبوذا الإله الكامل، الذي انكشف له العالم.

¹⁷⁶ قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، تونس: جامعة الدول العربية، لبنان: دار الجيل، دط، دت 82/3.

¹⁷⁷ موريس بيرشيرون، بوذا والبوذية، ص. 136.

أعوذ بالبوذا الإله، أعوذ بالدين.

أعوذ بجماعة البهكشو.

أعوذ بالبوذا الإله مرة أخرى.

أعوذ بجماعة البهكشو مرة أخرى.

أعوذ بالبوذا الإله مرة ثالثة.

أعوذ بالدين مرة ثالثة.

أعوذ بجماعة البهكشو مرة ثالثة.

أقبل حكما لا إيذاء فيه.

أقبل حكما لا سرقة فيه.

أقبل حكما لا شهوة فيه.

أقبل حكما لا كذب فيه.

أقبل حكما لا سكر فيه.¹⁷⁸

ثم تقدم الورود، والشمعة العسلية أمام رسم البوذا والمشاركة في بعض الأعياد.¹⁷⁹

الفرع الثاني: الرهبنة

تأسس الرهبانية البوذية

مع تجوال بوذا واعظا، تتالت الهدايات، وكثر أتباعه، وتلامذته، وكان الكل متساوون، ليس بينهم طبقية في الرهبنة.

ولكن بازدياد العددي، وحضور البعيدين، كان بوذا يفوض الرهبان "المرسومين" بقبول الرسامة بأنفسهم، بإتباع بعض القواعد البسيطة.

¹⁷⁸ محمد الأعظمي، مصدر سابق، ص 655-656.

¹⁷⁹ موريس بيرشيرون، بوذا والبوذية، ص 151.

وهكذا نشأت بطريقة طبيعية جدا منظمة رهبانية كبيرة هي "السمغها" التي تحكمها قواعد وبرامج زمنية محددة، وكانت القواعد الأساسية التي ربما توسعت بعد زمن البوذا. قواعد بسيطة: ارتداء الرداء الأصفر، واتخاذ الرأس الحليق، وحمل قصعة التسول، وعادة التسول، وعادة التأمل اليومي. وتعهد المبتدئ بان يقر "ألود بالبوذا، وألود بال"دهمة" (القانون أو الحقيقية) ألود بالسمغها(المنظمة الرهبانية)، ويتعهدون جميعا بالامتثال بالوصايا العشر، التي يمكن تبسيطها على هذا النحو:

- 1- أحجم عن تدمير الحياة.
- 2- لا تأخذ ما لا يعطلك.
- 3- ابتعد عن عدم العفة.
- 4- لا تكذب ولا تخدع.
- 5- امتنع عن المسكرات.
- 6- كل باعتدال ولا تأكل بعد الظهر.
- 7- لا تتطلع إلى المشاهد الراقصة أو الغنائية أو التمثيلية.
- 8- لا تستحل استعمال أطواق الأزهار، أو الروائح الطيبة، أو المراهم، أو الحلي.
- 9- لا تستخدم الأسرة المرتفعة أو الواسعة.
- 10- لا تقبل الذهب أو الفضة.¹⁸⁰

"والأوامر الخمسة الأولى واجبة من هذه الأوامر (المعروف بالوصايا الخمس) واجبة على كل المشاركين غير الكهنوتيين في المنظمة، وقد عرف البوذا انه يوجد من لا يستطيعون لسبب أة لآخر أن يتخلوا عن الحياة العائلية، ولكنهم شديداوالتعاطف مع مثل المنظمة... ولذلك أعد العدة لربط آلاف المشاركين غير الكهنوتيين بالمنظمة، على شرط أن يتعهدوا بالامتثال للوصايا الخمس.... ويبدو روح الإعانة على دعم نمو المنظمة وتقدمها. وعلى حد كبير كان من خلال العضوية غير الكهنوتية أو اكتسبت المنظمة الأملاك العقارية الشاسعة نوخذ وهب أشخاص رفيعوا النسب وغير كهنوتيين بساتين ورياضا وأديرة للمنظمة بحماسة.

¹⁸⁰ فراس السواح، مصدر سابق، 4/188.

ويبدو أنه من المشهود به كثيرا أن مجموعة كبيرة نوعا ما من أقاربه قد أصبحت رهبانا وراهبات، ويقول التراث عن البوذا قد ادخل في المنظمة ابنه "راهولا" وأن زوجته وأمه بالإرضاع قد صارتا راهبتين، وبرز ابن عمه آنند بوصفه النموذج المثل للتلميذ المخلص.¹⁸¹

¹⁸¹ فراس السواح، المصدر السابق، 4/189-190.

المطلب السابع: الأخلاق البوذية

تقترح الأخلاق البوذية مبدئياً أنه على الفرد أن يتوصل إلى مرحلة لا يفرق بها نفسه عن الآخر، وأن مفاهيم الخير والشر شخصية وغيرية" بأن واحد. إن الشر هو إرضاء الرغبة، والخطأ الذي نقوم به نحو الآخر.

في المقابل يتضمن الخير تضحية شخصية، واحتراماً لكل نفس وحياة، حتى لو كانت حياة عدو ما.

هنا نتعرف على نظرية (اللاعنف) واتخاذ موقف داخلي منيع ضد الشر، وهو موقف تبناه "المهاتما غاندي" بعد ألفيه وخمسمائة عاماً تقريباً.

جاء في كلام الرهبان: "إذا لم تستطع تجنب أفعى من الأفضل لك أن تتركها تعضك من أن تقتلها".¹⁸²

الفرع الأول: احتقار الجسد

نظرة البوذية إلى الجسد نظرة ازدراء، عشرة مزايا فاسدة: "الرغبة التي تولدها الحواس، الكراهية، العجب، الضلال، والزيغ، الجهل، التصلب والعناد، الشك، الوقاحة، التهاون، والتقصير، وحتى عدم الحذر البسيط الناجم عن الحكم الخاطئ".¹⁸³

الآثام الثلاثة للجسد " الزنا، السرقة، القتل "

الفرع الثاني: النقاء الروحي

"يمكن أن نعرف النقاء الروحي بالتححرر من كل رغبة، وكراهية، وجهل، إنها "جوهر النظام الأخلاقي نفسه"¹⁸⁴

بهذا نرى أن الأخلاق البوذية فردية شخصية بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من معنى، فهي لا ترتبط بتدخل إلهي من أي نوع، ولو كان مثالياً، ولا بأي انحلال للفرد في هذه الألوهية.

يمكن أن نلاحظ بسهولة أن الأخلاق البوذية لا تختلف عملياً عن التعاليم البرهمية، فكلاهما يدعوان إلى نبذ الأنانية، والتحكم بالغرائز الحسية، وعدم القيام سوى بالأعمال والكلمات والأفكار النبيلة، إنهما يضعان الحياة الروحية في الصف الأول، قبل الحياة المادية الدنيا، ويعطيان الأولوية للنية التي تسبق الفعل.... كثيراً ما

¹⁸² موريس بيرشيرون، بوذا والبوذية، ص109.

¹⁸³ موريس بيرشيرون، المرجع نفسه، ص112.

¹⁸⁴ موريس بيرشيرون. المرجع نفسه، ص114.

نقرا في النصوص المقدسة تعبيراً ذادلالة: "ألا تتلوث" هذه الإشارة إلى زهرة اللوتس، رمز الطهارة والنقاء، والتي لم تتسخ، أو تتلوث بالماء.¹⁸⁵

"ليس بالخطيئة وحدها يتسخ الإنسان، ولكن بفعل الخير أيضاً.

وكما أشار "يونغ" أن الفضيلة نفسها دق تكون أكثر خطراً من الخبث والخبديعة، ربما بهذا المفهوم حول النقاء يكمن الخلاف مع الأخلاق البرهمية. إن النقاء الروحي "البوذي" ليس في تجنب الدنس الشكلي بل يسكن بأكمله في الحرية خارج بعض القيود التي يحس بثقلها "البراهمة" حتى في عبورهم بوابة الفضيلة نحو الأفق المفتوح على مصراعيه للحقيقية زهرة المعرفة الخالدة"¹⁸⁶

الفرع الثالث: التأمل

التأمل أداة من أدوات نيل السعادة، وتطوير الذات، فأنا مثلاً لا أستطيع أن أطور كلاماً سليماً إذا لم ألاحظ ما أقول وأفكر. فالتأمل يصنع المعجزات، ويشفي من كل داء، يقول بوذا: "هناك تأملات خمسة الأول هو التأمل بالمحبة التي يجب أن تسيطر على القلب بكامله، وتشمل كل حي دون تفريق حتى الأعداء منهم. والثاني: هو التأمل بالشفقة على كل كائن حي، تواسيه بآلامه وأوجاعه، وتخفف عنه ما استطعت من متاعب. والتأمل الثالث هو تأمل الفرح إذ نفرح مع الفرحين، أما الرابع فهو التأمل بالطهارة التي تبعد كل شر وخطيئة، وإثم، حيث الشعور بالغبطة والراحة. وأخيراً التأمل الخامس: وهو الذي يقربنا من المحبة، ويبعدنا عن البغضاء والظلم وتأثيرات الغنى والحاجة حيث نطمئن إلى أنفسنا راضين."¹⁸⁷

الفرع الرابع: العمل أهم من القول

يقول بوذا "مهما كان عدد الكلمات المقدسة التي تقرأونها، وتلفظون بها، فهي دون جدوى إذا لم تتطابق مع الأفعال التي تقومون بها."¹⁸⁸

أن نتأمل بعض الوقت لا يعني أننا قمنا بما يجب أن نقوم به، المهم هو أن نعمل كما نشعر ونحس.

ينطوي على المفارقة بقدر كاف أن يبدأ بدراسة التصورات الفلسفية لبوذا بملاحظة أنه قد رفض أن التأمل الفلسفي هو سبيل الخلاص. وكانت المسائل الفلسفية الخالصة بالنسبة إليه قليلة الأهمية، فقد كانت لديه

¹⁸⁵ موريس بيرشيرون، المصدر السابق، ص 115.

¹⁸⁶ موريس بيرشيرون، المرجع نفسه، ص 116.

¹⁸⁷ أكرافيه كورنيت ودوسان سير، الحكيم بوذا، ص 164.

¹⁸⁸ أكرافيه كورنيت ودوسانسير. المرجع نفسه، ص 165.

نظرة شديدة العملية، وهذه المسائل تسعى إلى سلبته وفهمه العام، ولم يكن مهتماً بالفلسفة التأملية التي لا يمكن ربطها مباشرة بالوضع الإنساني، وتنقل المدونات البوذية نبذة الصريح للمشكلات المتداولة في الفلسفة آنذاك.

يقول بوذا "ضعوا نصب أعينكم ما أكدته لكم، وميزوه عما لم تؤكد لكم، فانا لمؤكد لكم بأن العالم أزي، ولمؤكد أن العالم حادث، لمؤكد بان العالم زائل، ولمؤكد أنه ابدى، أنا لمؤكد لكم بأن الروح والجسد واحد، لمؤكد لكم بأن المنتور يتابع وجوده بعد الموت، ولمؤكد انه لا يتابع وجوده بعد الموت. كما أنى لمؤكد لكم هذه الأمور؟. فلأنه لا فائدة منها، ولا علاقة لها بأساسيات تعليمي. وبالمقابل فقد أكدت لكم بأن وجود الإنسان شقاء وأشرت إلى سببه. وعلمتكم الطريق رفع الشقاء عنكم. أما لماذا أكدت لكم هذه الأمور، فلأنها ذات فائدة ترجى، ولأنها متصلة بتعليمي، تزيل الرغبة من نفوسكم، وتبكم المعرفة والحكمة العليا التي تقود إلى النيرفانا"

وبكلمات أخرى، فإن الصعوبة الأساسية عند الإنسان ليست الطريقة التي يتفلسف بها، بل في الطريقة التي يشعر بها، وأي تفكير يقوم به ينبغي له أن يندره لفهم رغباته والسيطرة عليها من خلال قوة وارده، ففيها يكمن الخطر الأكبر.

ورفض بوذا كذلك، الورع الديني سبيلا للخلاص، وكان موقفه ذلك النوع من الإلحاد الذي كنا قد لاحظناه عند ماهافيرا. فقد اعتقد أن الكون يتوافر فيه الأرباب والربيات والشياطين، وغيرهم من القوى والوسطات غير البشرية، ولكنها كلها من دون استثناء محدودة. وخاضعة للولادة الجديدة. وإذ تغيب في منظومته فكرة كائن متعال وأبدى وأقدم من الخليفة، وخالق للسماء والأرض، وفي وسعه توجيه مصائر البشر وسماع الرغبات وتلبيتها، فإن الصلاة عنده لم تكن تجدي نفعاً، وهو على الأقل لم يلجأ إليها.

ولأسباب مشابهة لم يعول على أسفار "الفيدا" أو عبادة الآلهة الكثيرين من خلال تأدية الطقوس القائمة على سبيل الفداء ولا تشجع على الذهاب إلى البراهمة بوصفهم كهنة... اظهر بوذا لكل تلميذ كيف يعتمد على نفسه من اجل الخلاص، وعلى قدراته، مركزاً، على الخلاص بضبط النفس الروحي، هنا تتجلى أكثر النزعات الإنسانية صرامة في الدين."¹⁸⁹

الفرع الخامس: الفكر

¹⁸⁹ فراس السواح، مصدر سابق، 192/4.

يقول بوذا: " انظروا فيما إذا كان هذا الذهب حقيقيا أم زائفا، وكذلك الأمر نفسه افعلوا مع الأفكار، فلا تتقبلوا تعليمي ببساطة، فقط لأنكم تنظرون إلي بعين الاحترام والمحبة. إن هذا ليس سببا كافيا للإيمان بما أقول." 190

لم يبحث بوذا إذن عن وسيلة يحول بها إيمان الآخرين أو يغير عقائدهم، ولا أن يقوم بدور المبشر أو المقدس بينهم بل أن كل ما أراد هو أن يتقاسم معهم ما كان قد جربه وتوصل إليه وهي تجربة غنية اختصرها بالجملة ذات الدلالة: " لكل سجنه، ولكن كل إنسان يمكن أن يمتلك القوة للهروب من هذا السجن." 191

الفرع السادس: قانون الكارما والولادة الجديدة

على الرغم من أن البوذا قد استأصل من رؤيته للعالم معظم ما يعد عموما من مميزات الدين، فقد تمسك بمعتقدين هندوسيين أساسيين يظهران عادة في سياق ديني، فقد اعتقد بقانون الكارما وبالوادة الجديدة، ولكنه عدل في كلا المعتقدين.

فلقد أضفى على قانون الكارما مرونة أكثر مما كان من ديدن الفلاسفة المتأخرين أن يصفوه عليه. وفي روايته أن في ميسور الإنسان من أية طبقة أو فئة اجتماعية أن يعيش خبرة التغير الكامل في الطبيعة الداخلية والميول بحيث ينجو من نتائج آثامه المقترفة في وجوداته السابقة. وقانون الكارما يعمل من دون شفقة ومن دون أن يسقط ذرة أو نتفة واحدة من المثوبة التامة عن الذين يستمرون في الطريقة القديمة. طريقة الرغبة التي لا يردعها راده- ولكنه قد لا يمسك بالإنسان الذي تبدل تماما، والذي حقق حالة الأرهتو الأرهتات "الذين تجاوزوا بعزمهم الوطيد الرغبة الشريرة" يمكن أن يشعروا بثقة بان كارمتهم قد استنفذت، فلن تحدث كارما جديدة، وقلوبهم متحررة من التشوق إلى حياة مقبلة. إن داعي وجودهم قد انقضى ولن ينشأ في داخلهم توق جديد وهم الحكماء ينطفئون عند الموت كالمصباح، ولن تكون لهم ولادة جديدة.

والذين لم تحرروا من "إرادة العيش والتملك" هم الذين يولدون من جديد.

وقد تشبث بوذا بمذهب الولادة الجديدة (التناسخ)، ولكن الشكل الذي خلعه على المذهب حير الناس منذ ذلك الحين، ويبدو أنه رأى أن الولادة الجديدة تحدث من دون انتقال جوهر روحي حقيقي من وجود إلى آخر. وقد أعلن المفسرون المتأخرون أن بوذا استخلص بعد تحليل الشخص البشري، انه "ليس للأنا" (الاتمان) من وجودهنا". وهذه مسألة من اشد المسائل غموضا وتعقيدا في منظومة البوذا الفكرية.

190 اكزافييه كورنيت ودوسان سير، الحكيم بوذا. ص 186.

191 اكزافييه كورنيت ودوسان سير، المرجع نفسه، ص 187.

وبدلاً من العقيدة العتيقة التي مفادها أن الروح التي لا تفنى، والتي لها وجود حقيقي، ترتحل من وجود إلى آخر موجهة من قبل السلسلة السببية غير المنقطعة لقانون الكارما، فإن البوذا أكد مذهباً موضوعياً وحدائياً بصورة مدهشة، وأفضى به تأمله لشخصيته إلى إنكار أن يكون لأي عنصر من عناصرها أي دوام. وما كان الناس يدعونه الكيان المستمر للروح الخالدة ينحل حقاً في مجموعة زائلة أو مركب زائل من مكونات أو أحوال الوجود المتبدلة باستمرار، أو "سكندهات" وهي أربعة: الجسم، والإدراك، والأحاسيس، والسمخارات وتعني النزعات الداخلية أو الاستعدادات الطبيعية التي تحدثها العادات الماضية في هذا الوجود والوجودات السابقة، وهيتقريباً، وباستخدام اقرب مرادف حديث، تجمع بين "الغرائز" وال"الشعور" -التفكير أو أعمال العقل، وباتحاد هذه السكندهات يتشكل الفرد. وما دامت متماسكة يؤدي الفرد بوصفه كائناً واحداً. ويعيش ويكون له تاريخ

ولكن كل عنصر يكون في تحول دائم ويبقى الجسم في تبدل من يوم إلى يوم، وعند الموت يتفكك الإتحاد، وتتشتت السكندهات.

بهذه الرؤية لطبيعة الفرد البشري كيف استطاع البوذا ان يتمسك بمذهب التناسخ؟

إن بوذا لم يزعم أن أي كيان له وجود حقيقي (الروح أو النفس) يرتحل من وجود إلى آخر، فتحليله جعل تلك النظرية مستحيلة، ولكنه كان يعلم انه تنتقل إلى حياة قادمة أخرى بنية من الصفات المحملة بالكارما. إن الأمر كان تضغط خاتماً على الشمع، فماذا، في مثل هذه الحالة، ينتقل من الخاتم إلى الشمع؟ انه لا ينتقل إلا هيئة الرموز المنقوشة على الخاتم والتي يستبقها الشمع، ولا ينتقل شيء مادي له وجود حقيقي، وهكذا فيما يتعلق بالولادة الجديدة، فعند نهاية وجود سيمتلك الفرد صفات مميزة محددة قسمت في نوع شكل ثابت صلب، ولكن عند التحلل سوف تنتقل هذه الصفات إلى الشمع اللين للوود الجديدة في رحم آخر، فلا ينتقل شيء له وجود حقيقي ومع ذلك هناك صلة محددة بين مجموعة من العناصر والمجموعة الثانية.¹⁹²

الفرع السابع: سلسلة السببية

تحدث بوذا عن خبرة كل ذلك بوصفها "كتلة من الألم" وهذا الألم يأتي من سلسلة من اثنتي عشرة حلقة من العلل والمعلولات. وتنتمي الحلقة الأولى والثانية إلى الحياة السابقة، والحلقات الثماني الوسطى على الحياة الحالية، والحلقتان الأخيرتان إلى الوجود المقبل، وتدعو الكتب البوذية ذلك "النشوء الاعتمادي" أو "سلسلة السببية"، ويسير التفكير على هذا النحو:

¹⁹² فراس السواح، مصدر سابق، 4/ 192-194.

أولا أسباب هذا المجيء المتكرر المؤلم لكل فرد إلى العالم وأكثرها جوهرية هو الجهل، ولا سيما القبول بالنفس الاختيارية، وبداوم العالم دون تمحيص هذا العيب الأساسي. الذي يترحل من الحياة السابقة، مغروس في البنية الأصلية للشخصية منذ الولادة، وهو الاستعدادات الطبيعية وإذ تستمال الشخصية على هذا النحو، تصبح واعية أو مدركة العالم وذاتها. وهذا يحدد من ثم السمات المميزة التي للمرء "الاسم والشك" الفردية التي يعرف بها المرء. وتعتبر الفردية عن نفسها سببا في ممارسة خاصة للحواس الخمس والذهن، وهذه تقيم بالتالي اتصالا مع النفس والأشياء الأخرى، ومن ثم ينشأ الإحساس والإحساسات تسبب الرغبة أو الاشتها. ومن الاشتها يأتي التشبث بالوجود. ويقتضى التشبث بالوجود عملية صيرورة، والصيرورة تسبب حالة وجود لا تشبه الحالة التي تسبقها، وأخيرا، فإن مثل هذه الولادة الجديدة تقتضي لا محالة شيخوختها وموتها وحزنها وعويلها وألمها وكآبتها وبأسها. وعلى هذا النحو ينبعث هذا الكم الهائل من المعاناة البشرية. ولكن المرء يستطيع أن يبدأ من النهاية، وأن يعود إلى البداية كما يقال إن البوذا قد عاد في كل حالة خاصة ليس من شان الشيخوخة والموت أن يحدثا إذا لم تكن هناك ولادة، وتعتمد الولادة في نشوئها على العوامل المسببة لصيرورتها، وتعتمد الصيرورة على تشبث سابق بالوجود، ويعتمد التشبث بالوجود على الرغبة أو الضمأ إلى الحياة. وتعتمد الرغبة على الأحاسيس أو المشاعر التي تعتمد على اتصالات المرء بالأشخاص والأشياء. وتعتمد الاتصالات على ممارسة الحواس والذهن، وتعتمد كيفية ممارسة المرء للحواس والذهن على بنية المرء الفردية، وتعتمد الفردية على الوعي، والوعي على الاستعدادات الطبيعية المنقولة من وجود سابق. وأخيرا فإن هذا الأمور تترسخ في الجهل الذي يقبل أن الذات والدنيا حقيقتان، ولذلك يكون لدينا في أحد الطرفين الحزن والعويل وفي الطرف الآخر الجهل.¹⁹³

الفرع الثامن: النرفانا

إن "الخطوات الثماني" تفضي إلى حالة "الأرته"، وهي الحالة من التيقظ، التي يصل بها الإنسان إلى مرحلة "القديس". ووصل إلى تحقيق الذات العليا، وطاقه روحية خالصة، ولم يعد يشعر بالألم ولا يجد متعة في الأفراد الدنيوية، وهو قادر على القول: "إنني لا أتمنى الموت، ولا أتمنى الحياة" وهو في هذه الحالة ينتظر برضا هادئ ومن دون "إطفاء مصباح حياته" الدخول عند الموت في النرفانا النهائية.

وتبدو النرفانا لدى الوهله الأولى تصورا سلبيا تماما، إنها تعني النهاية، "انطفاء" الوجود، ولذلك، لن يكون ثمة مزيد من التناسخ، وبما أن "سكندهاات" الوجود الدنيوي الأخير مشتتة، ولا يوجد أنا يظل باقيا، فسيبدو أن النرفانا هي "الفناء". غير أن بوذا ليس من شأنه أن يقول ذلك، ولم يعتقد أن ذلك صحيح. وكان كل ما عرفه أو حرص على قوله، هو أن النرفانا هي نهاية الصيرورة المؤلمة، فهي الأمن النهائي، وهي الحالة الأبدية

¹⁹³ فراس السواح، المصدر السابق، 4/197-198.

لعدم الوجود وعدم العدم، لان نهاية كل الأحوال والمتنويات المحدودة، ولا يمكن للمعرفة البشرية والكلام البشري أن يحيطا فهما بها.

والشيء اليقيني الوحيد هو أن "الأرهمت" لا تعذبه النفس بعد ذلك، وهذا يعني أنه لا يعذبه التفرد والاعتبارات والهموم والأنانية. وهو ذو محبة كاملة، إنه باختصار "المثال البوذي لما يمكن أن يصير المرء، وما ينبغي له أن يصير. إنه ذو الصدر الرحب، وهو يفيض بإرادة الخير."¹⁹⁴

ومع أن السالك البوذي متمركز حول تهذيب نفسه، وحول نعيمه الروحي، وكثيرا ما يشجع، كما جاء في كلمات البوذا نفسه، على أن "يطوف وحيدا مثل وحيد القرن، جاهر المنازل والأقارب لأنهم يعيقونه، إلا أنه مع ذلك مشحون بمحبة كل البشر من دون استثناء."¹⁹⁵

الفرع التاسع: المحبة

جاء في احد البوذية المقدسة وهي "مجهيمانيكايا": "إذا لعنك أحدهم، يجب أن تكظم استياءك، وأن تتخذ القرار الراسخ: "إن ذهني لن يتشوش، ولن تفلت كلمة غضب واحدة من شفتي، وسأبقى لطيفا ودودا، بالأفكار المحبة لا بالحقد المكتوم" وإذا هوجمت بعدئذ بالقبضات وبالأحجار، وبالعصي، وبالسيوف، عليك أن تظل كاظما استياءك ومحافظا على ذهنك المحب من دون حقد مكتوم"¹⁹⁶

يروى أن أحد تلاميذه بوذا أراد أن يقوم بالوعظ بين قوم همج، فاختبره بوذا، وعقد معه هذه المحادثة: "ولكن يا "بنا" إن الرجال في ذلك البلد عنيفون، وقساة، وشرسون، وعندما يغضبون عليك ويؤذونك، ماذا سيكون رأيك عندئذ؟.

"أرى أنهم قوم لطفاء وجيدون حقا، لأنهم عندما يتكلمون بكلمات غاضبة وسفيهة، يحجمون عن ضربتي أو رجمي بالحجارة"

"إنهم قوم عنيفون بنا. فماذا لو ضربوك أو رجموك.

سأرى أنهم لطفاء وجيدون، لأنهم لا لم يبطشوا بي بالهراوة أو السيف.

ماذا لو قتلوك؟.

¹⁹⁴ فراس السواح، المصدر السابق، 208/4.

¹⁹⁵ فراس السواح، المرجع نفسه، 209/4.

¹⁹⁶ فراس السواح، المرجع نفسه، 211/4.

سأرأىهم لطفاء وجيدون بالفعل من يجرؤني من هذا البدن الشنيع بألم قليل جدا.
حسنا قلت، يابنا، حسنا قلت، يمكنك بموهبتك العظيمة في الصبر أن تجرب هذه المهمة، اذهب يابنا، نفسك
ناجية، نج الآخريين. " 197

الفرع العاشر: المبادئ السلبية والإيجابية في منظومة البوذا الأخلاقية

كانت المشكلة الأخلاقية الأساسية التي صرف البوذا هم إليها هي: بأية طريقة ينبغي للمرء أن يعيش
ليحصل على انقطاع الألم والمعاناة، وينتهي الإرادة غير الحكيمة للعيش والتم لك، ويصل في مآل الأمر إلى
موفور الفرح والتحرر؟.

إن الإجابة عن هذه المشكلة تلخصها "الحقائق النبيلة الأربع" (التي شرحها في الرواية الرسمية لموعظته
الأولى)... اذكرها.... ويكشف تحليل هذه الكلمات حقيقتين هما: عن منظومة بوذا الأخلاقية توازن بين
تشديدها على نبذ الحياة، وعلى النصائح الأكثر إيجابية، وأنها ابعدها من أن تكون شديدة التشاؤم كما كان
الفكر الغربي يؤولها تقليديا.

لميشجب بوذا الرغبة "كلها" ولم يقل عن الوجود "كله" شقاء، فبشكل مؤقت، وفي محنة الوجود
الإنساني، توجد في الغربة قيم جديدة، إذا صح التعبير، وتوجد أيضا قيم رديئة، ويعرف الإنسان الحكيم (الذي
تغلب على الجهل إلى درجة تكفي ليعرف) كيف يميز بينها، ولا ريب أنه في النهاية يجب التغلب على كل
رغبة، وكل تعلق، إذا كان من دأب المرء أن يحقق النرفانا.

- إن المبدأ الأول، والسليبي، في منظومة البوذا الأخلاقية يتطلب الإحجام الصارم عن إطلاق المرء العنان
للرغبات المعروف أنها تسبب الألم. ولكن كيف يعرف المرء أنها رغبات من هذا النوع؟. إن الحقائق الثلاث
الأولى من "الحقائق النبيلة الأربع" توفر المعايير، وإذا اختزلناها إلى ابسط شكل، تمحضت عن هذه الصيغة:
حيث تصبح الحياة شقية، فإن الشقاء على الدوام ينشا من الانغماس في الملذات. ومن ثم يجب قطعها
نهائيا. وهي القيود العشرة التي ذكرها بوذا: " الاعتقاد بوجود الذات.... "

-ولكن من الواضح أن التحرر من القيود لا يمكن إحرازه فقط بالوسائل السلبية، إنه يتم بالعيش في سبيل
الوصول إلى الرغبات الجالبة للسرور الصحيح أو الحقيقي، تلك الرغبات التي تنبع في وعي متخط
ومتحرر، حيث يتجاوز المرء الوعي اليومي لأنواع الرغبة التي تحدث الألم تجاوزا تاما ويتخلص منه.

¹⁹⁷ فراس السواح، المصدر السابق، 211/4.

المبحث الرابع

الديانة السيخية

تمهيد

السيخية ديانة فنية نسبيا، ضمن محيط تبدو في انسجام معه أحيانا وفي اختلاف أحيانا أخرى. لمدة ما كانت معروفة لبعض الوقت لعدد قليل ما عدا الإدارة الاستعمارية البريطانية وضباط الجيش الذين ظنوا أنها عقيدة مفيدة لهم بسبب أن أتباعها لم يكونوا هندوسا ولا مسلمين، وعلى مسافة من كلا المجموعتين الدينتين الرئيسيتين، على الرغم من احتواء عقيدتهم على عناصر من كلا الديانتين.

الإدارة البريطانية كانت راضية عن مزيج الصفات التي جعلت من السيخ مصادر مثالية للمجندين في الشرطة، لقد كانوا أناسا بواسل يأكلون اللحم ويتمتعون بمظهر جسماني جميل بشكل استثنائي، ومدربين لمواجهة أهوال الحرب والعنف بشجاعة وشراسة، ولم يكونوا في الوقت نفسه، ممقوتين من قبل أي من المسلمين أو الهندوس.

السبب الرئيس لعدم انتشارها شهرتها في الخارج في ذلك الوقت يعود إلى أنها من الديانات الأحدث عهدا في العالم، فتاريخ تأسيسها يعود إلى القرن الخامس عشر فقط، لكنها ليست عقيدة جديدة معنى مطلق. الركن الأساسي لها التوحيد يتوازى مع الاعتقاد الإسلامي، بينما تتفق الكثير من العقائد الأخرى التي تؤمن بها مع الهندوسية بشكل من الأشكال.

السيخية هي فعلا نموذج بارز ومميز على التوفيق الفعال، وهو واحد من النماذج القليلة التي أثبت قدرتها على الحياة.

من جهة أخرى، ليست السيخية مجرد ديانتين قديمتين جمعنا في واحدة، إنها بالأحرى بداية أصلية جديدة، ويعتقد أتباعها أنها تلقت شهادة صحتها من تنزيل إلهي هبط على مؤسسها "نانك" لذلك، لا تبدو لمعتنقيها على أنها بنية فكرية مصطنعة انطلاقا من تأمل أكاديمي عقلائي لعناصر من ديانات اسبق منها. لقد ظهر الله " الاسم الحق" لننك وكلفه بمهمة إنقاذية لعالم منقسم، ولهذا، يجب ألا نخلط بين ديانة السيخ والمذاهب التوفيقية العقلانية التي ينخرط أتباعها في تجديدات فلسفية لا في إحياء دين جديد.¹⁹⁸

¹⁹⁸ فراس السواح، مصدر سابق، 4/153-154.

1 المطلب الأول: أحوال الهند قبل نانك

قبل ظهور "نانك" على المسرح التاريخي، كانت الأرض ممهدة له من قبل رجال لم يكن لديهم أي تصميم على تأسيس ديانة جديدة، ولكنهم وجدوا حاجة لتنظيف وتطهير ما بدا لهم انه هندوسية متآكلة، وكانت جهودهم المتكررة للإصلاح نتائج غير مباشرة لتطوير اثنين:

-انتعاش حركة "البهاكتي" في الهندوسية ذات الألف سنة من العمر كاستجابة جزئية على دافع محرض من الصوفية الإسلامية.

- مفهوم التوحيد الصارم عند المسلمين.

كانت طريقة البحث اتخذتا سبيلين مختلفين وهما:

الفرع الأول: طريقة المعرفة

هذه الطريقة لا تؤمن بالعمل الصالح، بل كل ما عندها هو الحصول على العلم و المعرفة ، لأنها تعتقد أن الحياة غير كافية لمعرفة حقيقية الرب سبحانه وتعالى فضلا عن عبادته وطاعته. وكان الشعر الكبير " كبير داس" (1440-1815م) من أكبر الدعاة على هذه الطريقة بسبب ولادته في بيت هندوسيين، ونشأته في بيت أحد المسلمين، فخالف الجميع في طريقة فكرهم، وكان يدعو إلى التفكير في ذات الله، ويصفه بأنه لا يدرك ولا يتصور، فلماذا هذه العبادات والتقاليد والقرايين.

وأظنه أول من دعا إلى وحدة الأديان في تاريخ الهند، وكان يؤمن بعقيدة الحلول والإتحاد التي بلغت أوجهها وكما لها بعد "شكرنا جاريا" (788-820م).¹⁹⁹

يقول "كبير داس": "اسمعوا أيها النسك الرهبان، أنا أجري مع كل تنفس، وأنا موجود في كل مكان."²⁰⁰

وكان نقده على الهندوسية إذ يقول: "إن الدنيا تعبد الصنم المنحوت من الحجر، ولا تعبد حجر الرجل الذي يؤكل من طحنه."²⁰¹

وكان يأخذ الشيخ المرابي وسيلة للحصول على المعرفة لاعتقاده أن الله قد حل فيه، إذ يقول: " رأيت الشيخ والرب واقفين بين يدي، فخررت ساجدا للشيخ الذي دلني على الرب."²⁰²

¹⁹⁹ محمد الأعظمي، مصدر سابق، ص675-676.

²⁰⁰ الأعظمي، المرجع نفسه، ص676.

²⁰¹ نفس المكان.

وقد انتقد تقاليد الهنادك وطقوسهم نقدا شديدا وله أفكار غريبة لا يسع المكان استيعابها.

هذا هو الرجل الذي تأثر به مؤسس دين السيخ "نانك" في فكرة وحدة الأديان، وهذا يتضح فيما بعد
بجلاء

الفرع الثاني: طريقة العشق والمحبة

هذه الطريقة تتفق مع الطريقة الأولى في حصول العلم والمعرفة إلا أنها لا تقف عند هذا الحد، بل تخطو
خطوة يزيد عليها الحب والعشق وكان "الشاعر" جانش " من كبار الدعاة غلى هذه الطريقة، وله ديوان
معروف بذلك

الفرع الثالث: طريقة تمثيلية راما

وهذه الطريقة لا ترضى بالتصورات المجردة فحسب، بل تنتخب شخصية محبوبة وتجعلها بمثابة الإله
المعبود، وذلك لتركيز الذهن والفكر في المراقبة وعدم تشتته منها. وكان من رأيها أن شخصية "راما" هي التي
تمثل أسوة حسنة ويعتبر "تلسي داس" (1517-1643م) من أكبر شراح هذه الطريقة، فإنه أبرز شخصية
"راما" بصورة الابن المؤدب، والزوج السعيد، والأخ الكريم، والصديق الحميم، والحاكم العادل إلى غير ذلك.

الفرع الرابع: تمثيلية كرشنا

هذه الطريقة تتفق مع التي قبلها إلا أنها تخالفها في اختيار الشخصية للأسوة ف"تلسي داس" انتخب
"راما" و"سورداس" (1407-1583م) انتخب "كرشنا" ولف حوله من الأساطير والقصص.
هذا هو الجو الاجتماعي والفكري الذي ولد فيه مؤسس دين السيخ "نانك".

المطلب الثاني: ظهور السيخية

كلمة "سيخ" مشتقة من كلمة التي تعني باللغة البالية المرید أو التابع. sikkha

وبعضهم يرى أن أصل الكلمة يرجع إلى الكلمة السنسكريتية "شيشا" وتعني أيضا "المرید" أو "التابع"، ويرى أن إطلاق هذه الكلمة جاء بسبب أن السيخ أتباع معلمين عشرة.²⁰³

والسيخية تطلق على العقيدة والمجموعة من الناس التي تؤمن بهذه العقيدة. وهم جماعة دينية من الهنود الذين ظهوروا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، يدعون إلى دين جديد زعموا أنه يشتمل على بعض ما في الدين الإسلامي، والدين الهندوسي الوضعي.²⁰⁴

إن اقرب تاريخ لميلاد "نانك" تستطيع الوقائع توكيده هو 1469م في قرية "تالواندي" حوالي ثلاثين ميلا عن مدينة "لاهور" عاصمة البنجاب. وكان أبواه هندوسيين ينتميان إلى طبقة تجارية أطلق عليها تسمية محلية، يعمل محاسبا في القرية، أما والدته فكانت من النساء التقيات كرس حياتها لزوجها وولدها. قيل عن "نانك" أن عقله أكبر من سنه، وشاعرا بالفطرة، وميالا إلى التأمل والنظر في الأمور الدينية بحيث بدا عديم النفع كراع أو حانوتي لمتجر.

ثم عمل في وظيفة حكومية، وتزوج ورزق بطفلين، ولكنه كان يمضي الأمسيات وهو ينشد الترانيم الدينية في تسبيح خالقه، ثم جاء صديقه المسلم الذي لعب دورا مهما في حياة "نانك"، وانضم إليه في العمل، وبالتدرج أصبحا مركز جذب لمجموعة صغيرة من طالبي المعرفة.

لكن الإثارة الدينية "لنانك" كانت تقترب من مواجهة أزمة، ثم ما لبث أن مر بتجربة حاسمة ثم وصفها على مدى مئة عام أعقبتها على أنها نوع من التجلي الإلهي، ففي احد الأيام اختفى "نانك" في الغابة بعد أن استحم في النهر، ومن ثم نقله في الرؤيا إلى الحضرة الإلهية، وقدم إليه كأس من شراب الكوثر فتقبله ممتنا، وقال له الله "أنا معك، لقد جعلتك سعيدا، وأولائك الذي سيطلق عليهم اسمك أيضا، اذهب وردد اسمي، وحض

أنظر: همام هاشم الألوسي، السيخ في الهند صراع الجغرافيا والعقيدة. مصر: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ط1،²⁰³ 2001م، ص33.

أنظر: مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، السعودية، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 764/2.²⁰⁴

الآخرين على فعل الشيء نفسه، التزم دون أن يلوثك العالم. عليك ممارسة ترديد اسمي، وفعل الخير، والطهارة، والعبادة والتأمل، لقد منحك كأسس الشراب هذا عربونا على اعتباري لك" ²⁰⁵

علماء السيخ العصريون مقتنعون أن هذه القصة هي إعادة بناء لتجربة أصلية باستخدام رموز تشير غلى وقائع روحانية، فكأس شراب الكوثر كان وحيا من الله، باعتباره "الاسم الحقيقي" وأن الكلمات المنسوبة إلى الله تعبر عن تجربة عميقة تضمنت دعوة "نانك" لتحمل أعباء النبوة، وقد وجدوا في ترانيم نلنك الخاصة وصفا أفضل لما جرى: " كنت منشدا بلا عمل

فأعطاني الرب وظيفة

وقد وجهني التقدير

ليلا ونهارا مديحي.

وقد دعا الرب هذا المنشد إلى بلاطه العالي

وانعم علي بكأس من شراب الكوثر

شراب الاسم الحقيقي المقدس" ²⁰⁶

وقيل إن "نانك" نطق تحت ضغط مشاعره، بمقدمة "الجابجي" وهو نص يجري ترديده صمتا، كطقس ديني صباي، من قبل كل سيخي حتى يومنا هذا. " لا إله إلا الله الواحد، الذي اسمه الحق الذي مجردنا من الخوف والبهتان.

الخالد، الموجود بذاته غير المولود، الكريم الجواد.

الواحد الحقيقي كان في البدء، الواحد الحقيقي كان في أول الزمان

الواحد الحقيقي الذي كان، ويكون وسيكون أبدا يانانك" ²⁰⁷

بعد ثلاثة أيام ظهر "نانك" من الغابة "بقي صامتا ليوم واحد، وفي اليوم التالي نطق لإعلان مفعم: " ليس هناك من هندوسي ولا مسلم" تلك الجملة الافتتاحية لما سيصبح حملة واسعة النطاق للتبشير الذي كان من

²⁰⁵ فراس السواح، مصدر سابق، 4/156.

²⁰⁶ فراس السواح، المرجع نفسه، 4/157.

²⁰⁷ فراس السواح، المرجع نفسه، 4/157.

أهدافه تطهير الأديان والمذاهب ومصالحتها. وانطلق في رحلة امتدت زمنا لزيارة شمال وغرب الهند، واستغرقت سنوات من التجوال، وكان رفيقه في هذه الجولة صديقه المنشد "ماردانا" الذي كان يعزف على آلة وترية تدعى "ريبك" بينما يكون "نانك" ينشد ترانيمه التبشيرية. وقام هذا الثنائي بزيارة أماكن الحج الرئيسية للهندوس .

لقد غنى "نانك" وبشر دون خوف من عداوة وزجر السلطات الدينية له، متخذًا من الأسواق والساحات العمومية وزوايا الشوارع أماكن لنشاطه، ولم يكن يتوقف إلا لكسب بعض المتحولين إلى عقيدته قبل المضي في مسيرته، والظاهر أنه كان لديه إيمان بان الله، الاسم الحقيقي، سيجعل البذرة التي دعا إليها تنمو وتثمر من تلقاء نفسها. وصمم لنفسه زيا مبرقع الألوان اتخذ لباسا لم حيث كان يوحي عند النظر إليه بأنه يهدف إلى جمع الديانتين العظيمتين، فبالإضافة إلى لباسه الداخلي الهندوسي "دوتي" وزوج الصندل.²⁰⁸

"ارتدى جاكيتة بلون المانغا، ونشر فوقها قطعة قماش بيضاء، على لباسه وضع قلنسوة كتلك التي يضعها المسلمون القلندر، في حين وضع حول رقبته طوق (مسبحة من عظام) ، وطبع علامة الزعفران على جبهته بالشكل الذي يطبع به الهندوس جباههم."²⁰⁹

لكنهما لم يحققا أي نجاح مميز حتى وصلا إلى البنجاب، فهناك بدأت مجموعات من السيخ "وتعني حرفيا التلاميذ) تتشكل. وطبقا لخرافة ممتعة لكنها غير موثوقة، فقد ذهب "نانك" إلى قلب العالم العربي مصطحبا معه "ماردانا" بعد أن كبرا في السن. وقيل إنهما وصلا مكة بعد أشهر كثيرة بلباس الحج الإسلامي الأبيض، يحملان مؤنثهما وإبريق الوضوء وسجادات الصلاة.

وتذهب الرواية أن "نانك" لما وصل وقدماه متورمتان، دخل المسجد الجامع وجلس في المكان حيث كان الحجاج منصرفين إلى العبادة والدعاء، وسرعان ما قاده تجاهله لعادات المسلمين إلى الوقوع في المشاكل، إذ عندما استلقى ليلا للنوم أدار قدميه باتجاه الكعبة، فانتهره شيخ عربي قائلا: من هذا المشرك النائم؟. لماذا تدير قدميك باتجاه القبلة أيها العاصي؟.²¹⁰

بالعودة إلى وقائع كثيرة أكثر مصداقية، سقط "ماردانا" مريضا وت في "كاتربور" وتوفي فيها. كان قد شاخ وانحل جسمه من كثرة الجوال. "ونانك" الذي بلغ الآن التاسعة والستين من العمر لم يعيش طويلا بعد صديقه. وبما انه كان يعلم أن نهايته قد دنت، وكانت عينه على أتباعه من السيخ الذي كانوا ينمون

²⁰⁸ فراس السواح، المصدر السابق، 4/158.

²⁰⁹ نفس المكان.

²¹⁰ فراس السواح، المرجع نفسه، 4/159.

ويكبرون، فقد اتخذوا قرارا كانت له عواقب امتد أثرها طويلا، لقد قرر أن يتخذ لنفسه خلفا يعينه، لم يكن أولاده جديرين بهذا المنصب لأنهم لم يظهرُوا أية مواهب دينية، ولذلك عين أحد التلاميذ ويدعى "أنغاد" ليكون خليفة له.

في تشرين الأول من عام 1538م سجي "نانك" ليموت، ويذكر المآثور أن الهندوس والمسلمين والمسيحيين تجتمعوا حوله ليكونه جميعا، قال المسلمون هكذا تجري الحكاية، وهو ما ورد عن كبير أيضا-إنهم يريدون دفنه بعد موته-وقال الشيخ من أصول هندوسية إنهم يريدون إحراق جثته، وعندما رفعوا الأمر إلى المعلم، قال لهم: "دعوا الهندوس يضعون الورد على يمني، والمسلمين يضعونها على شمالي، ومن تكون وروده طرية في الصباح يستحق التصرف بجثتي. قال ذلك وسحب الغطاء على وجهه ورقده هامدا. وعندما رفعوا الغطاء في الصباح لم يجدوا أي شيء تحته. وكانت ورود كلا الجانبين مبرعمة. وهكذا وحده "نانك" بين المسلمين والهندوس حتى في مماته، على حد ما تقول الحكاية.²¹¹

أما عن ما خلفه من الكتب، فلم يترك جانبا شيئا مكتوبا. لكن هناك مجموعتان من الكتب التي ترتفع إلى مرتبة الكتب المقدسة للشيخ، وهي "آدي جرانت". يعني "المجلد الأول" جمعت خلال عامي "1603-1604م). بواسطة العالم الروحي "أرجان" ويستخدم وأضاف إليها تشريعات، أكملها "كوبندسنگ" ويمثل الوثول إلى "آدي جرانت" الوضع الأخير في تطور عقيدة الشيخ على يد العلمين الروحيين.

والثاني: "داسام جرانت". جمع في القرن الثامن عشر تن على يد "كوبندسنگ" والجزء الأكبر منه هو عبارة عن حكايات هندوسية وروايات عن حيل النساء. وتكمن أهميته في الشهادة التي تقدمها عن المثل العليا عند الشيخ²¹²

²¹¹ فراس السواح، المصدر السابق، 4/159.

²¹² جفري ياندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص170.

المطلب الثالث: عقائد الجاننية

الفرع الأول: الله

من المدهش أن يكون للإطار العقائدي "لنانك" شكل بسيط على الرغم من مزجه لأفكار ورؤى ديانتين مختلفتين اختلافا واسعا. ويعود الإنسان هنا إلى التزام بمفهوم مركزي واحد-سيادة سلطة الإله الواحد، الخالق، لقد أطلق "لنانك" على إلهه تسمية "الاسم الحق" لأنه كان يريد تجنب أي اصطلاح يحدده مثل الله، أو رامبا، أو شيفا، أو غانيشا. وعلم أن الأسماء الحق يظهر بعدة طرق، وهو موجود في عدة أمكنة، ويعرف بعدة أسماء، لكنه هو واحد خالد، الله الحكيم القدير، الظاهر والباطن، الخالق والمدمر في آن واحد.

وإذا ما أردنا إطلاق تسميته فلتكن "هاري" أي اللطيف، التي تعتبر وصفا جيدا لطبيعته، لان رحمته لا تنفذ، حبه أعظم من عدالته الصارمة، وقدر الله بسر الغيبي، مصائر كل المخلوقات، وجعل الإنسان سيدها لتخدمه كلها. (وقد أزال بذلك التحريم الهندوسي لكل اللحم) ونلتمس في مبادئ "لنانك" هذه عنصرا إسلاميا خالصا.

من جهة أخرى ساهم "لنانك" في تطوير عقيدة المايا الهندوسية، لكنه لم يعط "مايا" معنى الوهم المحض، بل لقد أراد القول إن الأشياء المادية، حتى ولو كانت تمتلك واقعية باعتبارها تعبيراً عن حقيقة الخلق الأبدية، إلا أنها قد ترفع جداران من الزيف أمام الراغبين في العالم الدنيوي يمنعهم من رؤية "الحقيقي" واعتقد ان الله خلق المادة كحجاب يلتف به ولا تخترقه سوى العقول الروحانية الخالية من الرغبة وتقوم "مايا" من خلال قوتها الخافية "يجعل الحقيقية مظلمة، وتزيد من الارتباطات بالدنيا"

"مايا الإلهاميتولوجية نشأت من الواحد

وولد من رحمها ثلاثة تلاميذ مقبولين للواحد: براهما، وفيشنو، وشيفا.

يقال إن براهما هو الذي يعطي العالم قوامه

وفيشنو هو من يحفظ ديمومته

وشيفا المدمر هو من يستعيده إليه ويمتصه

وهو من يضبط أمور الموت والدنيوية

الله يدفعهم للعمل كما يريد هو

هو من يراهم دائما، وهم لا يرونه أبدا. تلك هي من بين الجميع، أعظم العجائب" ²¹³

"الله"، في نهاية الأمر، هو الخالق الحقيقي، وليس "مايا"، ويفعل ذلك من خلال الكلمة "الله نفسه هو من خلق العالم، وهو نفسه من أعطى الأشياء أسماءها، لقد صنع "مايا" من قوته." ²¹⁴

أكد "نانك" مثل المتصوفة المسلمين أن الله يسكن في العالم، وهو في قلب الإنسان: "لا تبحث عن الواحد الحقيقي بعيدا، إنه في كل قلب، وهو يعرف بإتباع تعاليم المعلم." ²¹⁵

الفرع الثاني: وحدة الأديان

لقد سبق إلى "نانك" الكتاب المقدس "البهلنت كيتا" بقوله: "بأية طريقة تعبدوني، فأنا أحفظكم بنفس الطريقة، الناس يختارون لعبادتي أشكالا مختلفة فكل طريق يوصلكم إلي" ²¹⁶

وهذه الأفكار لا تزال سائدة في أفكار الهنادك، فهم يقبلون بكل بساطة العقائد المتناقضة بدون حرج ومناقشة، ولهذا، نجد فيهم من يرمز بالتوحيد، ومن يؤمن بالتثليث، ومن يؤمن بالآلهة الكثيرة، وفيهم من يجحد الألوهية أصلا، وهم جميعا في ربة الهندوسية، فإن الولادة تحتم عليهم البقاء في ملتهم ونحلتهم، ولا يمكن لشخص أن يخرج من طبقة إلا بتنقل الأرواح من جسم إلى جسم آخر. ومن طبقة إلى أخرى. هذا هو مبدأ وحدة الأديان في تاريخ الهند.

وقد استغل "نانك" هذه الفكرة وارد أن يعيدها إلى أذهان الهنادك مرة أخرى، إلا أنه بكمال سياسته ضم إلى فكرته دين الإسلام، وأخذ منه بعض العقائد التي رأى أنها تتفق مع الفطرة البشرية، وليس هذا إلا نزعة نفسية جرته غلى ذلك للحصول على الزعامة الروحية من جميع أصحاب المذاهب والأديان ، يقولنانك: "إن الهنادك لهم ست مدارس فكرية، وكل مدرسة لها مؤسسها والمنتمون إليها، وجميع المؤسسين ينهلون من معين واحد، وإن اختلفت مظاهرها وتقاليدها وعاداتها. فأية مدرسة تؤمن بالخالق وعظمته وقدرته فاقبلها كأنها هي ضالتك المنشودة، فإن في ذلك تطورا ورقيا، ألا ترى أن الشمس واحدة والجو مختلف. أيهانانك : إن الله واحد، وإن اختلفت أشكال عبادته، وتعددت مظاهر خلقه." ²¹⁷

²¹³ فراس السواح، المصدر السابق، 160/4-161.

²¹⁴ فراس السواح، المرجع نفسه، 161/4.

²¹⁵ نفس المكان.

²¹⁶ محمد الأعظمي، مصدر سابق، ص 679.

²¹⁷ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص 680.

يقول "كوبن سنغ": "لا فرق بين مندر ومسجد، وبين عبادة الهنادك وصلاة المسلمين."²¹⁸

يقول "مايكل كوفمان": "ثم عمل الداعية "نانك" على التوفيق بين الأديان، بوضع أسس مذهب جديد ينبثق عن الاعتقاد بالإله الواحد... كذلك عارض قيام الكهنوتية في الدين، ووضع أسس الطبيعة الانتقائية للسيخية بقوله إن جميع الأديان واحد في الأساس."²¹⁹

الفرع الثالث: عقيدة الحلول والإتحاد

كانت هذه العقيدة سائدة في الهند منذ عهد بعيد، ويعتبر أرقى الناس في الهند، وأعمقهم فكراً عند الهندوس من عرف حقيقية "هو فقط لا ثاني له" وهذه هي غاية الفكر الهندي كما يوضح "الفيدانت".

الخطوة الأولى

أن تعرف الخالق بمعرفة مخلوقاته.

الخطوة الثانية

أن تميز بين الخالق وطبيعة الكون.

والخطوة الثالثة

أن ترى الوحدة بين الخالق وطبيعة الذرة التي خلق منها هذا الكون.

والخطوة الرابعة

وهي الغاية العظمى عند الهنادك أن ترى أن ذرة التخليق تتلاشى في ذات الخالق، لأنها هي هيولى الكائنات، ومصيرها الإتحاد بعلّة العلل.

وقد ظهر على الفكر الهندي رجل فلسفي وهو "شنكر جاريا" (788-820م) شارح مشهور لـ "الفيدانت" وروج هذه العقيدة في أوساط الناس. وبرهن لها بالدلائل والوجدان، فانتشرت هذه العقيدة في الهند، وكثر المؤمنون بها من الهندوسيين والبوذيين والجنينيين.

²¹⁸ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 670.

أحمد بن عبد الله آل سرور الغامدي، السيخية"نشأتها، عقائده، مظاهرها الدينية والاجتماعية"، مصر: دار الأندلس للطباعة، 2014م، 37.

وقد اخذ "نانك" هذه العقيدة الخرافية، بحذافيرها، يقول: "أنت القلم، وأنت الخط، وأنت الحبر، وأنت الطاولة."²²⁰

ويقول: "أنت السمك، وأنت الشبك، وأنت الصاد، وأنت فقط أنت لا غيرك"²²¹

هذه هي عقيدة السيخ في ذات الله تعالى. وإن السيخيين قد خدعوا المسلمين بدعواهم أنهم يؤمنون بالتوحيد كما اقره الإسلام، ولكن أين التوحيد النقي الصافي من هذه العقيدة الضالة .

الفرع الرابع: النبوة المستمرة

إن الفكرة المنتشرة بين الهندوس هي عقيدة "أفتار"، لكن "نانك" رفضها، واعتنق عقيدة الاسم في الرسالة، وبقيت هذه العقيدة معروفة عند السيخيين إلى زعيمهم الخامس وهو "أرجن داس" (1563-1601م) ولما تولى رئاسة السيخيين هذا المصلح، أعلن بألوهية جميع المصلحين السابقين، وادخل في السيخية عقيدة "أفتار" وإليك فهرس جميع هؤلاء المصلحين:

1- نانك (1469-1538م)

2- أنكد (1504-1552م)

3- امرداس (1479-1574م)

4- رام داس (1534-1581م)

5- رجن داس (1563-1606م)

6- هر كوبند (1595-1664م)

7- هري راي (1630-1661م)

8- هري كرشنا (1656-1664م)

9- تيغ بهادر (1621-1675م).

10- كوبند (1666-1708م).

²²⁰ محمد الأعظمي، مصدر سابق، ص 654.

²²¹ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص 684.

هذه هي سلسلة عباقره السيخيين، لكن هناك خلاف شديد بين السيخيين في بعض هؤلاء فإن المستخلف أحيانا يموت بدون تعيين من يخلف.

ثم هل فكرة السيخية تطورت واستكملت وهي لا تحتاج إلى المصلحين الجدد؟. فانقسمت السيخية إلى حزبين يرى أنه لا حاجة إلى مصلح جديد، وكوبند ينغ" هو خاتم المصلحين، وحزب يرى استمرار هذه السلسلة التي لا نهاية لها. فهذا الحزب ينتخب في كل عصر مصلحا جديدا يشرح لهم أحكام الشريعة، ويفسر لهم الكتاب حسب حاجة الزمن واقتضائه.²²²

الفرع الخامس: القواعد الخمسة عند السيخيين

هذه هي القواعد الخمسة التي يلتزم بها كل سيخي أينما كان:

الأولى: "الكيشو"

وهو استرسال الشعر من الرأس، وإعفاء اللحي، فإنه يحرم على كل سيخي أن يخلق رأسه ولحيته.

الثانية: "الكانغا"

وهي عبارة عن الضفائر المجدولة فوق الرأس، وذلك تعويضا عن المشط.

الثالثة: "الكانشا"

يعني اختيار سروال متسع يضيق عند الركبتين وتحريم لباس "دهوتي" الذي يلبسه الهندوس، وهو رداء ستة أمتار يلف حول الجسد من تحت السرة.

الرابعة: "الكارا"

وهو سوار من حديد يلف حول المعصم، ويحرم جميع أنواع الحلبي والجواهر.

الخامسة: الكريال

وهو عبارة عن نوع من السيوف يتحلى به كل سيخي.

²²² محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 699-700.

المطلب الرابع: العبادات

"نانك" ينكر على الهندوس والمسلمين أتباعهم للعبادات الشكلية دون التفكير الحقيقي بالله، وقد شعر حقيقية بان الطقس هو تشتيت للانتباه، انه يحول تيار أفكار الناس بعيدا عن الله والانصراف إلى أشكال العبادة وحركاتها، وفي كل مناسبة كان يجد توكيدا، لموقفه هذا، ففي أول صلاة للمسلمين حضرها بعد تلقيه الوحي، قيل إنه ضحك بصوت عال مما جعل المسلمين نافذي الصبر في انتظار نهاية الصلاة لسؤاله عن سبب ضحكك، أجاب المعلم بان الإمام أطلق مهرة حديثه الولادة قبل الصلاة مباشرة، وبينما كان يقوم بطقوس الصلاة تذكر أن هناك بئرا في الجوار، فتملكه خوف شديد من احتمال سقوط المهرة في البئر، ولذلك فإن صلاة القاضي لم تكن مقبولة عند الله. وشعر بعدم الثقة ومشابهة تجاه طقوس الهندوس. الذهب إلى الحج، والنسكية الصارمة، وعبادة الأوثان من أي شكل كان، فبالنسبة للحالة الأخيرة، رأنا أن الأصنام تشتت أفكار الناس عن حقيقة الله، وأن الله لا يمكن أن تحتويه صورة من خشب أو حجر.

أما بالنسبة للحج فقال إن الذكر المجرد "للاسم الحق" يعادل الاستحمام في الأماكن الثمانية والستين للحج. وفيما يتعلق بالاعتكاف النسكي والانسحاب من العالم، يتساءل "لماذا الذهاب للبحث عن الله في الغابة؟ لقد وجدت الله في البيت."²²³

"الدين لا يتكون في معطف مبرقع، ولا في عصا اليوغا.

ولا في رماد يرش على الجسم.

الدين لا يتكون في وضع حلق مهترىء، ولا في رأس حليق، ولا في نفخ في الأبواق.

الدين لا يتكون في التجوال بين قبور أو أماكن حرق الجثث أو الجلوس في مواقف التأمل.

الدين لا يتكون في التجوال في البلدان، أو الاستحمام في أماكن الحج"²²⁴

وعبر عما كان يعنيه الدين في الوصية التالية للمسلمين: "دع العطف يكون مسجداً.

دع الإيمان يكون رفيق صلواتك

دع التواضع يكون سيدا لممارساتك

دع التقوى تكون الصيام الذي تقوم به

²²³ فراس السواح، مصدر سابق، 4/162.

²²⁴ نفس المكان.

في هذا السعى الحكيم تكون مسلما

التصرف المستقيم هو الكعبة، والحقيقية هي النبي

والأعمال الصالحة هي صلاتك

الخضوع لإرادة الرب هو سبحتك

إذا ما كنت تفعل ذلك يا نانك

فإن الرب سيكون حاميا لك" ²²⁵

السيخي لا يحتقر هذا العالم ولا يقنط من الشفاعة، كما لا يحتقر جسده، لان سر الخلق و الحياة كامن فيه.

وليس يحجل نمه، إلا أن "نانك" يحذر قائلا: "بيت الجسد هذا الذي بناه الله، الذي تكون النفس بالنسبة

إليه بمثابة المستأجر، له أبواب عدة

الإغراءات الخمس التي ورثها الجسد

تشن غاراتها يوميا عليه." ²²⁶

الرجل الصالح والسيخي الصالح ظاهر في الدافع والفعل، يفضل التقوى، يسعى إلى الأخوة، بغض النظر عن

الطبقية، يشتهي كلمة المعلم والعلم الإلهي كما يشتهي الإنسان الطعام، يجب زوجته ويعزف عن كل النساء

الأخريات، يتجنب الموضوعات المثيرة للنزاعات، وليس بالمتعجرف، لا يدوس على الآخرين، يرفض صحبة

الأشرار، ويرتبط بدلا من ذلك بالمقدسين.

إن عقيدة "نانك" وممارساته هي تصالحية بشكل مميز وسليمة، ومع ذلك فإن الدين الذي أسسه قد تعرض

للتغيير نتيجة للاضطهاد، وتحول مع مرور الوقت إلى دين مدافع عن نفسه بشراسة حيث لجأ أتباعها إلى

حكم السيف. ²²⁷

"ونتيجة التطبيق المنظم لمصطلح "تذكر" اسم الله" "نام سيمران" هو النمو نحو الله والنمو في الله. وهي

عملية متدرجة شبهها المعلم "نانك" بسلسلة من المراحل الصاعدة، وخمس هذه المراحل وآخرها هي

المسماة "عالم الحقيقية" وهي الإتمام النهائي أو الإنجاز الأخير، حيث تجد الروح اتحادها الصوفي بالله، وغي

²²⁵ فراس السواح، المصدر السابق، 4/163.

²²⁶ نفس المكان.

²²⁷ فراس السواح، المرجع نفسه، 4/164.

هذا الوضع الذي تشعر فيه بسعادة لا يمكن وصفها بتنسخاً غلال التناسخ وتبلغ الروح مرحلة الإنعتاق
المطلق باندماجه في الله.²²⁸

²²⁸ جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص167.

المطلب الخامس: تأثير السيخية بالهندوسية والإسلام

الفرع الاول: التأثير والتأثير بين السيخية والهندوسية

أكثر ما تأثرت به النحلة السيخية هي الهندوسية، إلا أنها لم تأخذ بما بخدافيرها بل حاولت أن تهذبها، مستعينة بالتطورات الجديدة، والأفكار الشخصية. والهندوسية كما هو معروف خالية من العقائد الرئيسية، فلم تعارض الأفكار السيخية الغربية الواردة عليها. بل قبلتها بكل بساطة وسذاجة، واعتبر الهنادك الفرقة السيخية جزءاً منهم. واذكر هنا بعض العقائد التي اقتبستها السيخية من الهندوسية:

1- مقصد الحياة

مقصد الحياة عند الهندوسية المعروفة بين الجماهير هو "حصول النرفانا". وقد أخذت السيخية هذه العقيدة إلا أنها لما تأثرت بالإسلام وعرفت مشكلة إقامة الحجّة عليها، أضافت إليها "إلا أن يشاء الله العليم القدير فينجيها من هذا التنقل بلطفه وكرمه"²²⁹

2- الأساطير

يدعي السيخيون أنهم يؤمنون بالتوحيد ولا يشركون بالله أحد، بل هم أول من فهموا معنى التوحيد، لأنهم اقتبسوا أجزاء الميثوثة من الأديان المختلفة، فنقوه من شوائبه، وأقاموا عليه براهين عقلية، لم يسبق إليها احد. ولكن المتأمل في كتبهم يستغرب لما يرى فيها من خرافات وأساطير تخدم فكرة التوحيد أصلاً.

إليك بعض ما قال به "نانك": "إن برهما خرج من سرّة "وشنو" وبدأ يرتل أشلوك "الفيدا" ولكنه لم يدرك نهاية الرب فبقي في ظلمات الجولان"²³⁰

هذا الباب هو فاتح الكتاب المقدس عند السيخيين، يرتلونه كل صباح ومساءً، وليس فيه شيء من التوحيد، إنما هو عبارة عن أساطير الهنادك، وأسامي أصنامهم، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على استغراقهم في الشرك بالله عز وجل، وما التوحيد الصحيح فإن السيخيين لم يفهموه حق الفهم.

3- الغناء والموسيقى

إن الراهبات الهندوسيات يعبرون عن شوقهن وحبهن للإله المعبود بالرقص والغناء والموسيقى، واللاقي اشتهرن ب"كوبيات" من زمرة عاشقات "كرشنا" ومن بعدهن ممن اظهرن العشق والحب. "ميرابائي" (1516-

²²⁹ محمد الأعظمي، مصدر سابق، ص 682.

²³⁰ محمد الأعظمي، المرجع نفسه، ص 684.

1546م) التي كانت تدور مع الرهبان والنسك في المعابد، وتسحرهم بصوتها الجميل، وألحانها الجذابة، وكانت تضرب آلة الموسيقى وترقص أمام تماثيل "كرشنا" وتنتقل من معبد إلى معبد.

وقد تأثر "نانك" بهذه العبادة، وترى عليها، فكان يجيد الموسيقى منذ صغره، إلى حد الإعجاب، واتخذها كوسيلة لنشر مبادئه حتى رتب كتابه "كروكرنتها صاحب" على تربي الألحان الغنائية التي بلغت واحدا وثلاثين لحنا، يقول الدكتور: "جوبالسنغ" احد رجال الشيخ: "أكثر أساتذة السيخيين كانوا يجيدون الموسيقى، وإن المؤسس الأول "نانك" كان يغني في الجامع بصوت جميل، ويلزمه رجل من المسلمين، يضرب على الطبل بالخشب، وترتب كتابه بالشعر والترانيم، حتى عرف بين السيخ بالموسيقى التي لها تأثير كبير في عباداتهم وأداء واجباتهم الدينية، وهو جزء لا ينفك عن السيخ واشتهر هذا الدين بين الناس بالجمال والحسن، فكل سيخي أو سيخية تجري الموسيقى في أجسامهم كما يجري الدم في عروقهم."²³¹

الأمور التي خالف فيها الهندوسية

- لا تحصل النجاة عند السيخيين من "كرما مارج" (الطقوس وتقديم القرابين) ولا الاستغراق في حصول العلم والمعرفة، بل من عبادة الله الواحد وإتباع طريقه.
- السيخية تحرم الرهبانية، وتحظر على أتباعها الخروج من الدنيا وتركها كلياً، بل تحث الناس على الاشتغال بكسب الرزق بخلاف الهندوسية والبوذية والجيانية.
- تنقل الأرواح مرة بعد مرة أخرى، إلى الدنيا ليس بحتم بل قد ينجو الإنسان من التنقل أحيانا بمحض لطف الله وكرمه.
- المساواة بين الرجال والنساء في العفو والمغفرة بخلاف الهندوسية، فإنها تعتبر المرأة أساس كل شر، والجيانية توجب عليا ولادتها في قالب الرجال لحصول النجاة لها.
- السيخية لا تقدس لغة من اللغات المختلفة، بل عندها جميع اللغات على سواء، فإن الرب يسمع خواطر القلب بخلاف الهندوسية التي تقدس السنسكريتية.
- إن الرب لا ينظر إلى قوم دون قوم بل دينه للجميع، فمن أخذ به نجاً، والهندوسية لا تقر بذلك، فإن البراهمة هم قوم مقدسون عند الرب وهم الذين يقومون بعبادته وتقديم القرابين له.

²³¹ محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 686-687.

- السيخية تعارض فكرة الأفتار أو التجسد للإله وتؤيد عقيدة الرسالة والنبوة التي اقرها الإسلام. إلا أن السيخيين لم يستقروا طويلا على هذه العقيدة بعد وفاة مصلحهم، بل سرعان ما ألحوا أساتذتهم ومصلحهم، فبدءوا يعبدونهم من دون الله فوقعوا في شرك وكفر أكثر من غيرهم.²³²

الفرع الثاني: قبسات السيخية من الإسلام

السيخية أخذت من الإسلام التوحيد، فهي تؤمن بأن الله تعالى: أزلي، وخالق، ومحيط، وهو علة العلل، بعيد عن الحسد، والتنافر، وهو ليس إله قوم دون قوم، عادل، رحيم، كريم، لم يخلق البشر ليعذبهم على ذنوبهم، بل لغايته الحقيقية وهي العبادة له.

²³² محمد الأعظمي، المصدر السابق، ص 687-691.

المطلب السادس: التاريخ السياسي للشيخ

تسعة معلمين تولوا رئاسة رئاسة الديانة السيخية رسمياً بعد نانك، وازداد حجم المؤمنين المعتنقين بها، من بين الأربعة الأوائل، يعتبر المعلم أمار داس (1552-1574م) نموذجاً للبقية، فقد اشتهر بتواضعه وتحرره من الفخر الطبقي حيث كان يقول: "لنمنع شعور الفخر بالطبقة، فالعالم كله مصنوع من طينة واحدة"²³³

ويتضح سكون الديانة السيخية المبكرة وهدوؤها في أعماله كلها. لقد عاش الشيخ في زمنه حقاً وفقاً للقول المسالم: "إذا ما أساء أحد معاملتك، فتحمله ثلاث مرات، وسيحارب الله من أجلك في الرمة الرابعة."²³⁴

خاصيتان جديدتان من خصائص المجتمعات السيخية، ظهرتا مع "نانك" نفسه ثم واصلتا وجودهما عبر السنين لأنهما وحدتا الأعلى والأدنى. الأول لإقامة التجمعات (سانغات) من أجل العبادة الدينية أساساً، وانسحبت بعد ذلك على وظائف الاجتماعات البلدية. والثانية مؤسسة "اللانغرز" أو مطابخ الجماعة ذات الوجبات المجانية التي يجلس خلالها الشيخ على الأرض، من أي الطبقات كانوا، ويأكلون معاً كجماعة واحدة، وهكذا، تمت تنمية الديمقراطية والانسجام وتطورهما.

لكن، بما أن الشيخ كانوا يزدادون بسرعة، وكان ينظر إليهم بريية، إن لم يكن بعداء، من قبل الغرباء، فقد بدأ المعلم الخامس أرجان (1581-1606م) مرحلة انتقالية للتحويل إلى موقف أكثر تشدداً في الدفاع عن النفس، ويعود ذلك، في جزء منه إلى تغير في موقف السلطات الإسلامية، وفي جزء آخر منه إلى شيء داخل السيخية نفسها كمثال بمهمة "أرجان" الوسيم وقيادته. فبالإضافة إلى إتمام المشروع الطموح لأسلافه، البحيرة الاصطناعية "لأمر يتسار" ومعبد "هار مندير" (معبد الله) على جزيرتها أنجز أرجان شيئاً كان لهما أهمية مستديمة، الأول هو تصنيف "الغرانت" وهو إنجيل السيخ، إذ أنه أدرك أن الترانيم الدينية التي يستخدمها السيخ في صلواتهم كانت تتعرض لخطر الضياع، فقام يجمعها كلها معاً في مصنف واحد، وكان هو نفسه شاعراً موهوباً حيث نظم بنفسه حوالي نصف ترنيم المجموعة الموجودة في كتابهم المقدس، والباقي يعود في معظمه إلى "نانك"، إضافة إلى قسم ساهم بنظمه المعلمون الثاني والثالث والرابع وكذلك آخرون.

وسرعان ما لقي هذا التصنيف اعترافاً بأهميته من قبل أشخاص من داخل صفوف التابعة السيخية وخارجها، وسمع الإمبراطور المسلم أكبر من السلالة المغولية، أن هذا العمل هو عمل مشترك خطير، لكن الإمبراطور كان متسامحاً وأعلن، بعد أن سمع بعض القراءات من كتاب "الغرانت" أنه لم يكتشف أية أفكار خطيرة فيه، بل وقام بزيارة ودية إلى "أرجان" معبراً بذلك عن موافقته العلنية، لكن خليفته "جيهان" قام

²³³ فراس السواح، مصدر سابق، 164/4.

²³⁴ نفس المكان.

بإصدار الأوامر باعتقال المعلم أرجان. فأوصى "أرجان" ولده "هارغوفيند" بان "يجلس على العرش بسلاحه الكامل، أن يحتفظ بأفضل ما يستطيع".

ونفذ المعلم "هارغوفيند" (1606-1645م) وصية والده الأخيرة، إذ رفض عند تنصيبه، وضع العمامة و الطوق الذي ورثه عن أسلافه باعتبارها تعبر عن استكائة وخنوع، وعبر عن نواياه بكل وضوح: "طوقى سيكون قراب سيف، وعمامتي سوف تزين بالطرة الملكية".²³⁵

ولم يضع وقتا في قرن الأقوال بالأفعال، فأحاط نفسه بحرس خاص مسلح، وبنياول حصن للشيخ، وانضوى تحت رايته الآلاف من الشيخ التواقين إلى الخدمة العسكرية، لقد كان قادرا على توفير الطعام واللباس، إضافة إلى الأسلحة، منأموال خزينة المعبد. أما العالم الإسلامي من حوله فكان يزداد عداً بينما كان الشيخ ينام شعورا قوميا، وهم الذين امتلكوا الآن عاصمة لهم ومعبدًا جميلاً وغنيا. ولم يعد الشيخ من وجهة نظر المسلمين، فرقة مرتبطة ببعضها بشكل وثيق إلا أنها مسالمة، إنها الآن ذات واقع سياسي واجتماعي يهدد توازن القوى في شمال غرب الهند. ولذلك، بدأ المسلمون في التحرك وتجهيز أنفسهم، وبالمقابل، وجد الشيخ أنفسهم رجالا يمتلكون صفات القتال، غير أن الأمور لم تكن جيدة جدا. فحارب المعلم "هارغوفيند" وقبض عليه وسجن من قبل "جيهان" نفسه الذي قتل والده من قبل، لكن وفاة "جيهان" بعد ذلك بفترة قصيرة أفسحت المجال لدفع فدية "هارغوفيند" أتاح إطلاق سراحه ليعاود القتال من جديد.

امتاز حكم المعلمين الثلاثة بأنها كانت فترة سلم واستعداد وتوطيد قوة الشيخ، لكن ثالث هؤلاء المعلمين وضع في السجن في آخر الأمر، ثم اعدم من قبل الإمبراطور "أورانجزيب" وعاد الصراع غير المتكافئ إلى الانفجار مع تجدد النزاع العسكري إبان عهد المعلم العاشر، "غوفيند سينغ" (1675-1718م) كان اسم هذا المعلم عند تولية الزعامة "غوعيندرأي" لكنه عرف أكثر باسم "غوفيند سينغ" "غوفيند الأسد" لقد وجد الشيخ مهين لمثل هذا الصراع الرئيس وهم لم يكونوا مستعدين لأية عداوة لأي إنسان، كما أعلن، إلا أنهم عقدوا العزم على إعلان الحقيقة والدفاع عنها بلا خوف أو وجل، ولم يكونوا في معرض السعي إلى دولة مستقلة للشيخ، إلا إذا اضطروا إلى ذلك، وكان أمهه ألا يقوم المسلمون بفرض القضية، وكان في غضون ذلك، يحرص الشيخ للوقوف بحزم متمسكين بديانتهم. وبينما ينتظر اشتباكات محتملة بالسلاح، راح يحصن أرواح تابعيه بكتابة الترانيم، بأسلوب المعلمين الأوائل لكنها كتبت بأسلوب عسكري في مرات أخرى. وأعيد تفسير "الله" بحيث يمكن إخراج شخصية الرب بهيئة إله متشدد للحشود في زمن الخطر العظيم. وعلى سبيل المثال:

"نحن إليه ذلك الذي يمسك السهم بيده.

²³⁵ فراس السواح، المصدر السابق، ص 166.

انحن لذلك الواحد الذي لا يخاف

انحن لإله الآلهة هو في الحاضر والمستقبل

انحن للسميتار، السيف ذي الحدين

وسيف الحد الواحد، والخنجر

انحن لذلك الذي يمسك بالصولجان

لنحن للسهم والقانون²³⁶

وقد وردت هذه الكلمات بعد دعاء مذهل عبرت عنه الكلمات: "التالية" التحية، التحية لخالق العالم،
لمنقذ الخلق، راعينا، التحية لك، أيها السيف.²³⁷

وتم في وقت لاحق فيه هذه الترانيمهني وتلك الأقل تشددا، في مصنف واحد "سمس" هبة المعلمين
العشرة"، ولدينا، من بين هذه الترانيم، الإعلان المؤثر حول الأخوة الإنسانية:

"رجل ما يأمل أن يصبح راهبا

مقدسا عن طريق حلاقة شعر رأسه

ويقوم آخر بالجلوس في هيئة يوجي

أو في شكل نسكي آخر

بعضهم يسمون أنفسهم هندوسا

آخرون يطلقون على أنفسهم مسلمين

ومع ذلك، فالإنسان هو من عرق واحد في كل أنحاء العالم

فاعبدوا الله الواحد

لكل الناس المعلم الإلهي الواحد

²³⁶ فراس السواح، المصدر السابق، 167/4.

²³⁷ نفس المكان.

" كل الناس لهم الشكل نفسه
كل الناس لهم النفس ذاته
لهذا الأمر بعثني الله إلى العالم
وعلى الأرض كنت قد ولدت فانيا
وكما تحدث إلي، علي التحدث إلى الناس
بلا وجل، سأعلن حقيقته
لكن بلا عداوة لأحد
أولئك الذين يدعونني إلهًا
سوف يسيطرون في أعماق الجحيم
حيوني كخادم لله فحسب."²³⁸

ليس هناك من شك في أن "غو فيند سينغ" كان مقتنعا بسلطته الإلهية، وعندما جاءه الإلهام، بعد عدة أشهر من الاعتكاف والتأمل، لوضع ابتكاراته "النقاء" من خلال "خاندادي - باهول" أو "تعميد السيف" شعر بان ذلك كان من الله. وقام في احد الأيام، بعد اختباره لإخلاص خمسة من أتباعه، ثلاثة منهم كانوا من الطبقات الاجتماعية التي تسمى وضيعة، وذلك بمنحهم فرصة إثبات استعدادهم للموت في سبيل إيمانهم، قام بصب الماء في حوض حديدي وحركه بسيف ذي حدين، مضيفا إليه حلويات هندية أثناء ذلك، بهدف صنع ما سيسمى بالأمريت "أو شراب الكوثر"، ثم أمر كل واحد منهم بشرب ملء كف من الماء المحلى خمس مرات ورش الماء بعد ذلك على شعر كل رجل، وفي عينه خمس مرات. وبتعميدهم بهذا الشكل في طريقة الحياة الأبدية، كان يطلب ترديد ما أصبحت تعرف بصرخة الحرب للسيخ "الأطهار هم من الله، والنصر لله"

ومنذ تلك اللحظة وفيما بعد ذلك، أخذ أولئك الرجال المعمدون، هم وكل من انضم إليهم، أي إلى "الخالصا" فيما بعد، اسم "السنغ" أو "الأسد" وكلفوا، منذ ذلك الوقت وفيما بعد ذلك، بارتداء الكافات الخمس:

²³⁸ فراس السواح، المصدر السابق، 4/167-168.

-الكشأو الشعر الطويل غير المقصوص للرأس والذقن.

- الكنغأو المشط.

- الكاتشأو السروال التحتي.

- الكارأوالإسواره الفولاذية.

- القربان أو السيف.

فيما عدا ذلك،تعهدوا بعبادة إله غير مرئي،وان يعظموا الشيء المرئي والمقدس،ويكرموا المعلمين،وينهضوا صباحا قبل الفجر ويغتسلوا بالماء البارد ثم يتأملوا ويصلوا لقد تخلوا عن كل المحرضات والمنبهات،ولا سيما المشروبات الكحولية،وتجنبوا التبغ، وجرى تشجيعهم على أكل اللحم شريطة أن يكون لحم حيوان مذبوح بالطريقة الموصوفة أي بضربة واحدة بالسيف.

المعلم "غوفيند" نفسه أصبح أسدا "سينغ" بعد أن دفع الملقنين الخمسة الأوائل إلى تعميده كل بدوره بعد أن لقنهم طريقته. ثم ما لبث أن جعل هذه العبادة مفتوحة الأبواب أمام الناس من كل الفئات بغض النظر عن طبقتهم الاجتماعية على الرغم من عدم رضا الطبقات العليا.

لم يكن جميعا السيخ من الأسود، فقد بقي قسم منهم من أتباع "نانك"، يظهرن ظلالات شتى من السكينة، وظلوا متشككين بخصوص شن الحروب،ومع أن "غوفيند سينغ" نجح في قتاله ضد زعماء التلال المجاورين المعادين، إلا أن صراعه مع الإمبراطور المسلم "أورانجزيب" ذي الموارد الكثيرة لم يحقق فوائد للسيخ، فقد فقد المعلم أبناءه الأربعة، إضافة إلى إبادة جيشه، وأصبح "غوفيند سينغ" على علاقة طيبة مع الإمبراطور المغولي "بهادور شاه" عقب وفاة الأول، ولم يدم ذلك إلا ليقتل "غوفيند" بسكين مسلم قاتل 1708م، وكان قد مهد لمثل ذلك إلا لمثل هذا الحدث عندما أخبر أتباعه من السيخ بأنه عليهم اعتبار "الجرانت" بمثابة معلم لهم بعد وفاته،وهو الذي يئس من آماله في التورث، إذ لم يعد هناك حاجة لقيادة أخرى سوى تعليم الكتاب المقدس.

بعد "غوفيند" لم يعد لدى السيخ معلم من البشر، وبدلا من ذلك،راحوا يعظمون كتاب "الجرانت" باعتباره السلطة الإلهية الوحيدة.وصار "الجرانت"باعتباره السلطة الإلهية الوحيدة، وصار "الجرانت" يتلقى في المعبد الذهبي "لامتسار" تكريمتا يوميا ملكيا "كان يجري إلباسه كل صباح "البروكار" الغالي الثمن، ويوضع بتججيل على عرش منخفض تحت ظلة مرصعة، وفي كل مساء يضعونه ليهجع في هدأة الليل في سرير ذهبي داخل غرفة مقدسة،محمية من المداخلات الدنيوية بالمزاج والقضبان، لكن وبالرغم من أن كلماته كانت

تردد في المعبد يوميا وتقرأ من نسخ متعددة، إلا أن جميع هذه النسخ مكتوبة بلهجات ولغات قديمة، لا يفهمها سوى الاختصاصيين الذين كان عليهم شرحها وإفهامها للبقية.²³⁹

كان تاريخ السيخية السياسي تاريخ شهرة عسكرية عظيمة منذ زمن غوفيند، فقد كسبوا معارك عديدة، وهيمنوا بمرور الوقت على كامل البنجاب، وعندما جاء البريطانيون لإخضاعهم عامي 1845م 1848م، أظهروا مقاومة مشهودة، وفي سنة 1849م استسلم آخر حاكم للسيخ للقوات البريطانية. بل أكثر من ذلك، أعلنوا الولاء لهم، واخلصوا لهم، وانخرطوا في الجيش والشرطة بأعداد كثيرة.

تقسيم الهند عام 1947م نتاج مأساوية على السيخ، في بداية الأمر، فبعض أماكنهم المقدسة، بما فيها مكان ولادة "نانك" أعطيت للباكستان، وفر عدة آلاف من السيخ إلى مدن الهند كلاجئين، واليوم جميع السيخ ضمن حدود الهند، غير أن مكائنتهم فيها غير مرضية لهم، بعضهم يطلب استقلالاً سياسياً كاملاً، وآخرون يعارضون إقامة دولة منفصلة للسيخ معتقدين أن للسيخية دوراً يجب أن تلعبه في تطوير الديمقراطية الهندية. واعترفت الحكومة الهندية بشرعية المطالب لفريق آخر من السيخيين من أجل استقلال ذاتي، ومنحت حوالي ستة ملايين مقيمين فيما تبقى من البنجاب القديمة شكلاً من أشكال الدولة أو الحكم الذاتي.²⁴⁰

المصادر والمراجع

1- غوستاف لوبون، حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتز، مصر: دار العالم العربي، ط 1، 2009م .

²³⁹ فراس السواح، المصدر السابق، 4/170.

²⁴⁰ فراس السواح، المرجع نفسه، 4/170-171.

- 2- كلود، ب، لفسون، البوذية، ترجمة: محمد علي مقلد، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008م.
- 3- محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان "دراسة وصفية مقارنة"، مصر: دار الثقافة العربية، ط1، 2002م.
- 4- حبيب سعيد، أديان العالم، مصر: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، دط، دت.
- 5- محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، السعودية: مكتبة الرشد، ط2، 2003م.
- 6- أحمد شليبي، أديان الهند الكبرى "الهندوسية، الجينية، البوذية"، مصر: مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1984م.
- 7- فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان "الهندوسية، البوذية، الكونفوشيوسية، الشنتوية"، ترجمة: سيف الدين القصير وآخرون، سوريا: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط17، دت.
- 8- محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، مصر: دار الشعب، دط، 1970م.
- 9- هوستن سميث، أديان العالم "الهندوسية، البوذية، الكونفوشيوسية، الطاوية"، ترجمة: سعد رستم، سوريا: دار الجسور الثقافية.
- 10- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت: عالم المعرفة، ط1، 1993م.
- 11- موريس بيرشيرون، بوذا والبوذية، ترجمة: فاروق الحميد، سوريا: دار الفرق، ط1، 2017م.
- 12- أكرافيه كورنيت ودوسان سير، الحكيم بوذا، ترجمة: فاروق الحميد، سوريا: دار الفرد، ط1، 2017م.
- 13- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، تونس: جامعة الدول العربية، لبنان: دار الجليل، دط، دت.
- 14- همام هاشم الألوسي، الشيخ في الهند صراع الجغرافيا والعقيدة. مصر: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، 2001م.
- 15- مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، السعودية، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، دت.
- 16- أحمد بن عبد الله آل سرور الغامدي، السيخية "نشأتها، عقائده، مظاهرها الدينية والاجتماعية"، مصر: دار الأندلس للطباعة، 2014م.

فهرس المواضيع

03	المبحث الأول: الديانة الهندوسية
41	المبحث الثاني: الديانة الجانتيية
59	المبحث الثالث: الديانة البوذية
96	المبحث الرابع: السيخية